الفصل الأول

فى دائرة الألوهية .. والواجبات الدينية

١ ـ بيت الله هو ما يعلن فيه ذكر الله وحـده :

تلميذة فى الصف الثانى فى المدرسة الثانوية تشكو من عدم قدرتها على الاجابة عند السؤال شفويا فى الفصل رغم انها تعرف الاجابة الصحيحة · ولكنها تحس : ان هناك شيئا ما يمسك لسانها ويمنعها من الكلام · واذا تكلمت يخرج الكلام بلقلقة · وهى تعانى من هذه الحال وتبكى بسببها وكادت ان تياس وتقـدم على الانتحار ·

وتحـاول الآن أن تشـجع نفسها · ولكن ـ كما تقول ـ ليست لديهـا القدرة الكافية · وهناك واحدة اشارت عليها بالذهاب الى الكنيسة · اذ ربما يكون عليها عفريت يطلعه الأستاذ الموجود هناك ! وتسأل :

(١) هل حرام أن اذهب الى الكنيسة حتى ولو كان هذا المكان أجـد فيه شفائى ؟

(٢) ثم ما رأى القرآن الكريم فى هذه المشكلة ؟ وما الحل الذى افعله لحـل هذه المشكلة ؟

● هذه التلميذة يغلب عليها الحياء · وتحب أن تظهر دائما فى صورة كريمة ، أو فى صورة : انها متفوقة على قريناتها · ومن أجل ذلك تخشى أن تقدم على الاجابة اذا ما طرحت المدرسة أو المدرس سؤالا على التلميذات فى الفصل للاجابة عليه · وخشـيتها من أن تخطىء جعلتها تتهيب وتتردد فى أن تقـدم أولا تقدم ·· فى أن تجيب أولا تجيب · وهذا التهيب أو التردد فى الاقدام والاجابة أصبح عـادة لها · فاذا اقدمت وأجابت بالفعـل تحول هذه العادة لديها دون أن تسترسل فى الاجابة · وهنا تكون اللقلقة التى تحكى عنهـا ،

اذ هذه اللقلقة عنوان التهيب النفسى الداخلى ، والتردد بين الاقدام والاحجام وسط بقية التلميذات فى الفصل ٠

ولو سألت هذه التلميذة نفسها : السؤال الذى القى عليها وعلى قريناتها فى الفصل وهى وحدها لأجابت عليه ، دون تعثر أو لقلقة منها ٠ ذلك لأن سبب التهيب والخشية غير قائم الآن ٠ وهو وجود زميلاتها معها ، ووجود المدرسة أو المدرس بينهن ٠

فعادة التردد أو التهيب يجب أن تحل محلها عادة الاقدام والشجاعة ٠ وهذه العادة الثانية لا تحل محل الأولى الا اذا اقتنعت التلميذة التى تعانى الآن من اللقلقة : بأن الاجابة على السؤال الذى يطرح فى الفصل كما تحتمل الصواب تحتمل الخطأ ٠ فالخطأ فى الاجابة ليس عيبا ٠ بل ربما يكون هذا الخطأ سببا فى كشف مشكلة يجب على المدرسة أو المدرس : أن يتناولها بوضوح لجميع التلميذات مرة أخرى ٠

واذا اقتنعت التلميذة السائلة بان « الكمال » وان كان يجب أن يسعى اليه الانسان ، لكن قلما يكون كاملا فى كل شىء فان درجة تهيبها ستنخفض ٠ وبالتالى ستتعود الاسترسال شيئا ، فشيئا ، الى أن تزول عنها اللقلقة التى تعانى منها ٠

ودور المدرسة أو المدرس فى تشجيعها واضعاف عادة التردد والتهيب لديها : دور أصيل ٠ ويكاد يكون هو العامل الايجابى الوحيد فى مثل هذه الحالة ٠

● والذهاب الى الكنيسة من أجل الشفاء الموهوم : حرام ٠ فالقرآن يدعو الى الايمان بوحدة الألوهية فى الله سبحانه وتعالى ٠ ومعنى ان الله واحد : انه لا شريك له فى هذا الوجود : فى الفعل ٠٠ والقدرة ٠٠ والارادة ٠٠ والخلق ٠٠ الى غير ذلك من الصفات التى تدل على تفرده فى استحقاق العبادة ٠ فاذا اعتقد الانسان ان هناك عفريت يلبس بدن الانسان ٠٠ وأن هناك مكان معين يمكن أن يتخلص فيه من هذا العفريت ٠٠ وان فى هذا المكان شخصا ما يخلص البدن من العفريت الذى يلبسه : يكون قد اعتقد بشريك لله جلت قدرته ، له فعل وله قدرة على التخليص من الآلام والمتاعب التى للآخرين٠ وهذا دستور القرآن للبشرية جميعها يعبر عنه قول الله تعالى : « **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** » (١) ٠

---

(١) آل عمران : ٦٤

وقد آن الأوان أن يطرح الناس جميع الاعتقادات التى تجعل لغير الله فعلا فى هذا الوجود ·· وأن تتجه اليه وحده فى السراء والضراء ·

● والحل لمشكلة السائلة أن تكف أولا عن الاعتقاد فى خرافة العفاريت ·· وثانيا عن الاعتقاد فى الشفاء منها بزيارة أماكن العبادة ، وعلى أيدى أناس معينين فيها ·· وثالثا أن تعتقد فى الله وحده :

« هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم · هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون · هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (١) ·

فاذا طهرت نفسها من الاعتقاد فى الخرافة ، وآمنت بالله وحده ، فعليها بعد ذلك أن تحلل الأمر فى نفسها · فاذا راجعت مشكلتها فستجدها تعود الى « التهيب » فلتدفع نفسها الى الأمام معتمدة على الله ، وعلى حسن مراجعتها لدروسها ومواد الدراسة لديها · ولا تخشى أن تخطىء ، طالما الانسان يكون منه الصواب والخطأ · واللسان لا يتعثر الا اذا تعثرت النفس فى داخلها · والنفس تتعثر بسبب الخوف وحده · والجرأة أو الشجاعة هى القنطرة التى يمر بها الانسان فوق الخوف مهما كان عميقا فى النفس ·

ولتفصح عن مشكلتها بجانب ذلك الى مدرستها أو المدرس فى فصلها ، وترجوه أن يشجعها على الاجابة مهما تعثرت فيها · والله ولى التوفيق ··

* * *

٢ ـ التهديد بالردة عن الاسلام :

يكتب مواطن من احدى القرى : انه سيرتد عن دين الاسلام هو وزوجته واولاده ، ويبحثون عن دين آخر ان لم تحل مشكلته مع والده ·

ومشكلته : ان والده ـ كما يقول ـ جبار ولا يستطيع أن يرجعه عن ظلمه وقسوته الشديدة أحد · فقد تولى منصب « العمدية » فى القرية · وقسى ، واشتد وظلم كثيرا · وبسبب قسوته الشديدة : ضرب احد الأهالى

---

(١) الحشر : ٢٢ ـ ٢٤

مرة ـ ضربا مبرحا حتى حملته أسرته على الأعناق تسيل الدماء من كل جانب من جسمه ولزم فراشه حتى فارق الحياة · وذلك بسبب أن واجه العمـــدة بقوله : ان الجلسة التى ترأسها لحل مشاكل القرية كلها ظلم ·

وبسبب قسوته وشدته تقدمت احدى العائلات ، وكذلك العمدة السابق للقرية بالشكوى ضده الى الجهات المسئولة · فعزل من الوظيفة واعتقل ابنه الذى يشكو الآن من والده أربع سنوات فى المعتقل · ولم يخرج منه الا فى عام ١٩٦٤ ·

ولأن ابنه الذى يشكو هنا لا يطيعه فى تنفيذ ما يأمره به من قتل بعض أناس معينين : غضب عليه ، وطرده من المنزل · ويحرض على قتله كمـــا يدعى : بعض اخوة له غير أشقاء · وهو يعمل بالأجر · ويقوم بالانفاق عـلى أولاده الستة وزوجته ·

ويطلب :

أولا : ان يحصل على حقه من مال أبيه فى الانفاق على نفسه وأسرته ·

ثانيا : أن يوقف هذا الأب عن التعدى والتحريض على العدوان ومباشرة الظلم ·

ثالثا : ليس أمامه اذا لم يتم هذا وذاك : الا أن يتخلى عن الاســـلام ويعتنق دينا آخر حتى لا يكون من أقارب هذا الوالد ، كما ينكر ! ·

● حسبما يبدو من رسالة السائل : أنه لا خير للاسلام منه ، ولا من والده ··· والاســلام لا يخسر شيئا اذا ارتد هذا الولد عن دين الله · ولا يكسب الدين الآخر الذى يعتنقه شيئا اذا انضم اليه ·

فالأب وابنه : كلاهما مصدر ايذاء وضرر لنفسيهما ، وللناس الآخرين· وليست لديهما الأهلية لأن يكون كل منهما ذا انسانية فى معاملاته ·· وفى سلوكه ·· وفى استقامته فى تصرفاته ·

الأب تورط فى الظلم ، كما يحكى ولده · ولا يستطيع أن يعدل عن الشر، بعد أن تقدمت به السن ، وبعد أن عزل من وظيفة العمدية · فأى خير يرجى

منه الآن لنفسه وللآخرين ، فضلا عما يرجى منه للاسلام · والولد الذى يجعل ايمانه بالله فى الميزان ·· ويهدد المسلمين بالانتقام من الاسلام بالارتداد عنه، اذا لم يتكاتفوا على انقاذه من ظلم ابيه ويعينوه على أن يصل مال الأب اليه بنفق منه على نفسه وعلى أسرته : أى خير ينتظر منه للمسلمين أو للاسلام ، اذا بقى معلنا ايمانه بالاسلام · وظل كما هو فى صف المسلمين ؟

● كثير من الناس لا يعرفون : ان ايمانهم بالاسلام مصدر خير ونفع لهم هم لأن باستقامتهم فى السلوك والمعاملة مع الآخرين يكسبون منهم : الرضا ، والمعاونة ·· والمودة ·· فوق انهم يكسبون فى ذواتهم : الاعتدال ، والاعتماد على الله · كما يتجنبون اقتراف الشرور والمعاصى · فالايمان بالاسلام مصلحة للمؤمنين أنفسهم وليس فيه ما يمتنون به على الله تعالى · ولذا طلب من الرسول عليه السلام أن يجيب الاعرابى الذى جاءه ، يمتن عليه بأن أسلم ، بقوله : « **يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين** » (١) ·

··فقد كلف الرسول عليه السلام هنا ، بأن يجيب : بأنه اذا كان هناك منة فى ايمان المؤمن ، من أحد وعلى أحد : فالمنة من الله على المؤمن به ، بسبب أن هداه للايمان ·

والسائل هنا ، بمسلكه ، ليس صورة مشرفة للمؤمن ، حتى يكون هناك أسف على خروجه من الاسلام وارتداده الى الكفر · اذ الفرق بين وضعه الحاضر ·· والوضع الآخر المرتقب له ، ليس كبيرا ·

ولا ينبغى اطلاقا أن يهدد مسلم ما بالخروج من صفوف المسلمين ، مهما وقع فى حرج أو فى أزمة · لأن تهديده بالخروج من صفوف المسلمين : أمارة على افلاسه فى حل أزمته ، وعلى عدم صلاحيته للتصدى لمشاق الحياة ·

وفريضة الصوم يوم أن كلف بها المسلمون : قصد منها أن يتعلموا من الحرمان ومن الامساك عن جميع ما تشتهيه النفس فى أيام رمضان ، كيف يصبرون على المشاق والصعاب التى قد تصادفهم فى حياتهم ، فى غير رمضان ، وفى غير أيام الصحة والرخاء ·

● واذا كان التهديد بالخروج من صوف المسلمين ليس حلا لمشكلة السائل ، فان دعوته الى الايمان الصادق بالله هو الحل الأمثل لما يفترضه من

---

(١) الحجرات : ١٧

مشكلة تواجهه·فالمشكلة ليست فى اصلاح حال والده ونقله من اتباع الشيطان الى حزب الله · فالوالد يقع ـ كما يحكى ولده ـ تحت تأثير عادات جاهلية كثيرة · أهمها الظلم ، والاعتداء ، وتبييت الشر والسوء للآخرين · ولكن المشكلة ان الولد يريد أن ينفق على نفسه وأسرته من مال والده · لأن الأجـر الذى يحصل عليه من العمل لا يفى بنفقاته · وليس هناك ضمان لأن يوافق الوالد ـ طالما العلاقة بينه وبين ابنه على هذا النحو من السوء ـ عـلى أن يتكفل بسد حاجته فى النفقة ·

وهنا يأتى دور الايمان الصادق بالله · فالمؤمن الصادق فى ايمانه بالله يعتمد على ذاته ، ويتوكل على الله · فهما أمران ضروريان فى حياة المؤمن : الاعتماد على الذات · والتوكل على الله · فالمؤمن الذى يعتمد على ذاتهيسعى سعيا جديا للعمل من أجل الرزق ·· ويجعل العمل صنوا للعبادة : يفرغ من العمل ليســـعى الى العبادة ·· ويفرغ من العبادة ليســـعى الى العمل : « **يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع** » (١) ·· « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** » (٢) ·

وعند مباشرة العمل يتوكل على الله ، ويستعين به فى تيسير أمره عليه· ولذ تقول الآية السابقة بعد قول الله تعالى : « **فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** » ··· تقـول : « **واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » (٢) · أى اذكروا الله فى عملكم · فيجب أن يؤدى فى كمه وفى نوعه بحيث يستحل الأجر عليه · وعندئذ يتحقق الفلاح والنجاح فى حياة العامل سواء بالنسبة لمعيشته، أو لتربية أولاده · لأنه ينشئهم على كسب حلال ·

والمؤمن بالله الصادق فى ايمانه لا ينظر اذن الى ما فى يد غيره : من مال · ولو كان مال والده · وانما يركز على عمله هو ·· وعلى طاعته لله فيما يعمل ·

والسائل اذا اعتمد على نفسه فى العمل وتوكل على الله فى عمله : لا يشغل نفسه بوالده : باصلاحه ·· أو ببقائه على انحرافه · لا يسئل الا عن شىء واحد فقط : كيف يرضى ربه فيما يعمل ؟ ·· كيف يرضى ربه فيما يعيش هو وأسرته ؟ ·· كيف يرضى ربه فيمـا يربى أولاده ؟ ·· وليترك بعـد ذلك صلاح والده الى خالقه ·· وليترك اخوته غير الأشقاء وزوجة أبيه ، الى المولى جل جلاله · وليجرب السائل هذا الطريق · وهو طريق الاعتماد على

---

(١) الجمعة : ٩ (٢) الجمعة : ١٠

الذات والتوكل على الله · فانه طريق النجاح فى اطمئنان النفس ·· وضمان الرزق من الله : « **وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها** » (١) ·· اى اذا دبت وتحركت للسعى والعمل فى سبيل الرزق ·

★ ★ ★

٣ ـ الوسوسة :

اولا : سيدة باحدى المحافظات ·· تروى قصة الشك التى تسيطر على العلاقة الزوجية بينها وبين زوجها · فتقول :

انها تزوجت منذ سبع سنوات من رجل محترم ومن أسرة طيبة ·· وان هذه الزيجة أثمرت ولدين الآن ·· وانه تزوجها تحت تأثير والدته ، صرفا له عن ابنة عمه التى كان يحبها كثيرا · ولشدة تعلقه اول الأمر بابنة عمه أرادت أن تمثل عليه دورا ربما يرغبه فيها فادعت ان ابن عمها كان يحبها كذلك ·ولكن ظهر لزوجها : أن هذا كذب منها ·

وعندما دخل بها لم يقتنع انها كانت بكرا · لأنها كما تقول : قطرت نقطتان من الدم فقط · فذهب بها الى طبيبة اخصائية فطمأنته وذكرت له : أن زوجته من النوع الذى لا ينزف وأكدت له بكارتها ·

وعندما أنجبت الطفلة الأولى شك فى أنها ابنته ثم رجع عن هذا الشك حتى اذا انجبت الطفل الثانى عاد فشك فى انه ابنه · والعلاقة بين الاثنين دائرة بين الشك فترة ·· ودفعه فترة اخرى ، حتى مرضت الزوجة من كثرة تفكيرها · فهى تقع تحت تأثير طيبة قلبه ، وتريد أن تقف بجانبه فى الأزمات · وتسأل هل تمر هذه الأزمة ويعود الى الحالة الطبيعية ؟ · كما تؤكد انها متدينة ·· وتخشى الله قبل أن تخشى الناس ، وانها لم تعبث فى حياتها اطلاقا كما يعبث بعض الفتيات ، وبالأخص فى مرحلة المراهقة · انها الآن لم تجد سوى الله تتوجه اليه ليهديه سواء السبيل · وتطلب ارشادها الى الطريق الصحيح ·

★ ★

ثانيا : طالب باحد المعاهد : يذكر قصة صديق له · وقد تخلف فى الدراسة فلم ينجح فى الثانوية بعد رسوب ثلاث سنوات فيها ·· كما تخلف عن الجماعة التى كانت تواظب على الصلاة واداء شعائر العبادة منذ ثلاث سنوات كذلك · وانقطع عن التدين ·

---

(١) هود : ٦

وقصته بعد ان سجلها من املائه : أن والدته انجبت بنتا فاذا تبرزت غسلتها فى حوض الوضوء او غسل الوجه واليدين ·· أو فى ارض الحمام· واذا تبولت لم يكن لها مكان للتبول · وانما كانت تسير فى اى اتجاه . وبولها يصاحبها اينما سارت ، واينما وقفت على الأرض ·· على السجاد ·· فى اى موضع · وشك فى أن المنزل الآن نجس فانقطع عن العبادة · وزاد فى أمر الشك عنده فأصبح يسمع صوتا يناديه اذا تحرك فى اى مكان فى المسكن : هنا قذارة ·· هنا نجاسة ·· كما أصبح هو وحده ـ دون اخوته ـ الذى يوسوس له الشيطان بالنجاسة بسبب أخته الصغيرة · وينقل صديقه : انه يسأل : كيف يستطيع التغلب على الوسوسة والشيطان ؟ ·

● هناك بعض الطبائع البشرية تصدق فى أمر ما لمجرد شبهة · ولا تحلل الأمر فى ذاته ، أو تحاول أن تقف على الدليل المبعد للشك على الأقل ·

فزوج السائلة هنا سارع وصدق أن زوجته لم تكن بكرا ، لأنها لم تنزف ليلة الدخلة بها · وكل ما حصل لها : انه قطر منها نقطتان من الدم فقط · وعندئذ شك فى أمانتها واحتفاظها بعفتها قبل الدخول بها ·

وكذلك طالب الثانوية العامة الذى كان يرافق مجموعة من زملائه فى المواظبة على أداء الصلاة بالمسجد · صدق فى سرعة ، فى نجاسة المسكن الذى يسكنه هو وأهله · لأن أخته الطفلة الصغيرة كانت تتبرز وتتبول فى جوانبه ، مما كان يحمل أمه على غسلها فى حوض الوضوء أو الحمام ·

والذى يسارع بالتصديق فى أمر ما ، بدون دليل واضح لديه : عنده الاستعداد النفسى أيضا لأن يصدق اليوم بنقيض ما كان يصدق فيه بالأمس · والمثل على ذلك زوج السيدة السائلة أيضا · فانه بعد أن اتهمها بعدم الأمانة وشك فى عفتها قبل الدخول بها : عاد وصدقها فى أنها أمينة على عرضه ، بعد أن أعلنت الطبيبة الاخصائية انها دخلت على زوجها وهى بكر ·

وكذلك عندما شك فى نزاهتها يوم أن أتت بالطفلة الأولى ، ثم الطفل الثانى ، وادعى أن كليهما من اخصاب رجل آخر · وبعد المراجعة والحوار معه : نفى هذا الاتهام ، وأقر بنسب الطفلين له ·

● هناك بين الناس اذن : شكاكون · يتقلبون فى الشك بين الشىء ·· ونقيضه · أو هناك من يسرع بالتصديق بأمر ما ·· ثم يسرع بتصديق ضده ·

هؤلاء الشكاكون : أو هؤلاء الذين يسارعون فى التصديق : هم ضعفاء الارادة ·· أو من ضعاف الشخصية · هم مهتزون فى حياتهم ، ولا يستطيعون أن يبرموا أمرا ، وأن ينفذوا ما ابرموه وارتضوه ·

هم مترددون بين أن يفعلوا ·· وأن لا يفعلوا · وهم الى السلبية أقرب منهم الى الايجابية فى حياتهم · هم سطحيون · لا يتعمقون فى الأمر ليقفوا على خصائصه · هم سيئو الظن بالآخرين · ان كانوا أزواجا فهم سيئو الظن بزوجاتهم · وان كانوا زوجات فهن سيئات الظن بأزواجهن · حتى الأمهات قد يسيئون الظن بأولادهم · والعكس كذلك ·

ومن سوء ظنهم بالآخرين : يشكون فى سلامة تصرفهم ·· وفى امانتهم ·· وفى مودتهم وتعاونهم · ولكنهم لا يلبثون فى شكهم على حال واحدة : اليوم يشكون فى أمر معين ·· وغدا يشكون فى أمر آخر على الضد منه ·

● واذا ترك هؤلاء المتشككون وشأنهم ، فان أمر التشكك يزداد لديهم ، ويتحول الى ما يسمى « بالوسوسة » فالوسوسة هى غلبة التشكك على الانسان الضعيف فى ارادته · وقد تصبح « مرضا » ·· اذا أسلم نفسه لهواجس الهوى وخواطره ·

و « الموسوس » : انسان ضعيف الارادة ·· سريع التصديق فى الشىء ، وضده ·· سيىء الظن بالآخرين ·· تكثر « السلبية » فى حياته ، بقدر ما تقل الايجابية فيها ·· عديم الثقة بنفسه وبالآخرين ·· معذب بكثرة الشكوك ·· يخاف من غده ، ولا يطمئن اطلاقا لما يأتى به حتى ينتهى عن آخر دقيقة فيه ·· ومعذب برفقته وبصحبته ـ من يكون رفيقا أو صاحبا له : فزوجة الموسوس معذبة ·· وأسرة الموسوس كلها أيضا معذبة ، حتى أولاده الصغار ·· ورفقاء الموسوس معذبون ، اذا أصروا على رفقته ·

وقد ينتهى أمر الموسوس الى عزله نفسه عن الناس ·· والى ظلام التشاؤم فى الحياة ·· والى اليأس فالانتحار ·

● وليس هناك علاج للمتشكك أو الموسوس الا أن يعتمد على الله فى حياته ·· الا أن يكل أمره اليه ·· الا ان يستعين بربه : خالق السموات والأرض ·· فهو وحده المنقذ له من الوسوسة ، والشك والتشكك · اذ هو الذى يدعو رسوله عليه السلام الى أن يعلن الالتجاء اليه عندما تشتد هواجس النفس :

« قل أعوذ برب الناس · ملك الناس · اله الناس · من شر الوسواس الخناس · الذى يوسوس فى صدور الناس · من الجنة والناس » (١) ··

---

(١) سورة الناس ·

فيستعان بالمولى جل جلاله من شر الوسواس : سواء أكان مصدره هوى النفس في داخلها وهو أمر لا يراه الانسان ·· أو كان مصدره من النـاس الأشرار أصحاب الوشاية الذين يحيطون بالضعفاء ويؤثرون عليهم بالقول والحكاية ·

ومعنى الاستعانة بالله جل جلاله في اتقاء شر الوسوسة : أن يعتقد أولا في قضـاء الله وقدره ·· وأن ما يقع للانسان في هذه الحيـاة هو خير ، أراده الله له ·

فاذا اعتقد قل تشاؤمه · وابتدأ يتفاءل في مستقبل حياته · واذا قل التشاؤم ، قل ظلامه على نفسه · واذا قل الظلام أمام الانسان انكشف له نور الحياة فلا يرى فيها عندئذ ما يثير عدم الثقة في نفسه وفي الآخرين · وعندئذ يقل شكه وتشككه · وكلما كثر اتجاهه الى الله في الصلاة كلما تضاءل شكه في الحياة أو انعدم ·

وزوج السائلة ·· وصديق الطالب : مطالب كل منهما بالاستعانة بالله سبحانه على طرد الوسوسة من نفوسهم ، بقراءة المعوذتين كثيرا · فان كثرة مراجعتهما تطمئن النفس على الاعتمـاد عـلى الله · وهو نعم المولى ، ونعم النصير ·

وعلى السائلة بشأن زوجها ·· وعلى السائل بشأن صديقه أن يصبر كل منهما ويتحملا ضعف الثقة الذاتية وفي الآخرين ، التي تتملك الآن شخص الزوج ، وشخص الصديق · ولو كان لدينا بعض المعالجين النفسيين عـلى أساس من فهم كتاب الله لكان من الرد على هذين السؤالين هو الاتصال بواحد منهما · ولكن من الأسف أن الكثيرين منهم يتبعون « فرويدا » في طريقة علاجه· وهي ما تسمى : بالتحليل النفسي ، على أساس من العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى ·

* * *

٤ ـ الشك في وجود الله :

مراهق من احدى المدن يقول :

ان سنه الآن : السادسة عشرة · وهو متدين · وكان يسر كثيرا بقدوم المناسبات الدينية كشهر رمضان مثلا ·

ولكنه ابتدأ منذ مدة لا تزيد عن شهر : يقلق ·· ويشك في وجود الله ·· كما ابتدأ يبكي كثيرا · ولم يعد يستقبل اية مناسبة دينية بفرح ، كما كان الأمر من قبل ذلك ·

ثم يقول : فانا افكر كثيرا فى الأشياء التى كانت توجد من أيام الرسول ، وأحاول أن استدل بها على وجود الله • وانا اظن ان مصدر هذا كله هو الفراغ التام الذى أعيش فيه • فانا لا أزاول اى عمل • ولكنى متحير • ويسـأل : فما الحل ؟

● ان الشاب يعيش الآن فى مرحلة المراهقة• ومن صفات هذه المرحلة: أن المراهق غير مستقر على وضـع واحـد • وانما هو يتردد بين صـفات الطفولة • وهى المرحلة السابقة •• وصفات الرشد الانسانى وهى المرحـلة التالية •

ومعنى انه يتردد بين صفات المرحلتين : أن تكون له صفات هذه المرحلة ، مرة •• وصفات المرحلة الأخـرى ، مرة أخـرى • فبينما نجده يبكى لأتفه الأسباب والبكاء خاصة الطفولة •• اذا بنا نجده ينجد غيره من أصـحاب الحاجة ويكون صاحب مروءة • ونجدة الغير ، وحسن الصنيع معه من أمارات الانسان الرشيد •

وميل المراهق للتدخين مثلا • كثيرا ما يكون تقليدا منه للانسان الرشيد •• وميل المراهقة الى تجميل وجهها كثيرا ما يكون كذلك : تقليدا منها للمرأة الرشيدة •

● والشاب السائل عندما دخل مرحلة المراهقة ابتدأت نفسه تهتز •• وابتدأ يعيد تقييم سـلوكه • لماذا هو متدين ؟ • ولماذا هو يحرم نفسـه من الاختلاط بالشابات ؟ لماذا لا يصادق بعض الفتيات ، كما يفعل الشـبان أو المراهقون الآخرون ؟ أذلك حرام ؟ •• ومن حرمه ؟ • أهو الله تعالى ؟ • وأين هو ؟ • وما هى صفاته ؟ • وهنا يكون الشك فى وجود الله • وكلما ضـغطت عليه فترة المراهقة وتيقظت فيه الغريزة الجنسية كلما استرسل فى الشك • وربمـا ينتقل الى الجانب الآخر فينكر الله ، كى يخلى الطريق أمـام غريزته الجنسية • ويحقق شهوته ، دون شعور بالمسئولية نحو غيره ونحو نفسه •

وهذه هى طبيعة الانسان تدفع بالانسـان نحو الشك فى الخالق •• فالانكار له بينما دليل وجوده سبحانه : فى الانسان نفسه : « **من أى شىء خلقه• من نطفة خلقه فقدره • ثم السـبيل يسره • ثم أماته فاقبره • ثم اذا شـاء أنشره** » **(١)** • فهو فى موقف الانكار لا يتبصر بقدرة الله ، ونعمه عليه • فالله

---

(١) عبس : ١٨ ـ ٢٢

أنشأه من نطفة مختلطة من الذكورة والأنوثة ·· وقدره فجعل له السمع ، والبصر ، والفؤاد ، ثم يسر له سبيل السلوك والاعتقاد بهداية الله · وبذلك كانت له الرسالة ، بجانب ما خلق فيه من عقل وحكمة · ثم قدرة الله كما انشأته تستطيع أن تميته ، وأن تعيده من الموت الى الحياة فيخرجه من القبر توا الى الحياة كما كان · ومع دلائل القدرة الالهية فى خلق الانسان وتوجيهه واماتته ، واحيائه : فانه قد يكفر بالله ·

وبينما دليل وجوده جل جلاله أيضا يحيط بالانسان من نعم هى له خاصة : « **فلينظر الانسان الى طعامه · أنا صببنا الماء صبا · ثم شققنا الأرض شقا · فانبتنا فيها حبا · وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا · وحدائق غلبا · وفاكهة وأبا · متاعا لكم ولأنعامكم** » (١) ·· كذلك لم يستخلص الرؤية الواضحة ، عندما كفر بالله وبدعوة الحق ، مما أحاطه الله به من نعم · ولو وضع أمامه الطعام علىسبيل المثال الذى يتناوله ونظر فيه لوجد : أنه خلاصة امكانيات عديدة،ونتيجة لمقدمات يتبع بعضها بعضا · وهى كلها تدل على قدرته سبحانه· فطعام الانسان ــ وكذلك طعام الانعام التى تحيط بالانسان ويحتاجها فى مسكنه، وماكله ، ومشربه ، وفى سفره ونقلته ــ كانت نتيجة لنزول المطر ، ·· وتفاعل الأرض به فى اخراج النبات فى صنوفه المختلفة وانواعه : من حب ·· الى فاكهة ·· الى حدائق بأشجارها الكثيفة ·· الى مراع متجددة : فما بين يدى الانسان : من ذاته أولا ·· الى ما يحيط به من نعم كفيل بأن يحمل الانسان على الايمان بالله ·· والايمان بوجوده وبصفات الكمال المطلق له · لانها هى السبيل الذى يسره الله فى شأن الهداية · ولكن قتل الانسان ما أكفره · يغلب عليه هواه ·· وتغلب عليه شهوته فينسى الله أو يكفر به ودلائل الوجود بين يديه : ان فى ذاته وخلقه ·· وان فى النعم التى خلقت للانسان ويلمسها بالحس فى المحيط الذى يعيش فيه ·

● والسائل ــ وهو فى سن المراهقة الآن ــ لكى يستعيد ايمانه بالله ، ولكى يثبت على الايمان القوى : عليه أن يفتح كتاب الله وقرآنه فآيات الخلق ·· وآيات الكون كثيرة ترشده الى وجود الله ·· والى وحدانيته جل جلاله · وما ذكرناه هنا من آيات تقود الانسان فى يسر الى المراد · ومن أجل ذلك تقول السورة بين يدى هذه الآيات : « **قتل الانسان ما أكفره** » (٢) ·· أى ما أشده كفرا · فهو ينكر الله ·· وينكر رسالته ، ولا يلقى نظرة على ذاته وكيف خلقت ·· ولا على البيئة التى يعيش فيها وكيف أعدت لخدمته ·· اذ لا يمكن أن يمر بالأطوار التى مر بها فى خلقه ووجوده ·· ولا يمكن أن يعيش فى البيئة التى

---

(١) عبس : ٢٤ ــ ٣٢ (٢) عبس : ١٧

يعيش فيها والتى أعدت له : « الا اذا كان هناك مدبر للكون كله وخالق لجميع الموجودات ·· واحد وحدة مطلقة فى صفات الكمال ·· لابد أن يكون القادر قدرة مطلقة هو الذى خلق الانسان ، كما خلقه ·· وهو الذى أوجد له كذلك البيئة والمحيط الذى يعيش فيه الانسان ·· هو الله سبحانه ·

فالدليل الحسى على وجود الله قائم بين يدى الشباب · ومن ينكره ينكر ما لا ينكر ، ويكفر بما لا يكفر به الانسان الطبيعى ·

● وعلى السائل أن يحذر من الوقوع تحت اغراء الهوى والشهوة فى مرحلة المراهقة التى يعيش فيها الآن ، أكثر مما هو واقع · وليستغفر الله ، ويسأله التوفيق · وليطرح ما يجول فى خاطره فانه من وسوسة الشيطان فى داخل نفسه أو فى خارج ذاته ·

★ ★ ★

٥ ـ الزوجة تكون حيث يسكن زوجها :

مشرف زراعى باحدى الجمعيات الزراعية باحدى المحافظات · ويتقاضى راتبا قدره تسعة عشر جنيها مصريا · وتزوج بفتاة نزح أهلها من الريف الى القاهرة ، ولم يتعرف عليها الا عن طريق اخته فى مسكن مجاور لمسكن والديها فى العاصمة ، وانجب منها ولدا بعد عام من زواجه · ويسكن الآن مع زوجته وولدهما فى مسكن بالبلدة التى يعمل فيها كمشرف زراعى · ويعيش فى نفس المسكن معه والده ووالدته باعتباره انه العائل لهما ·

وحدث بعد مرور العام الأول أن وقع خلاف بين زوجته وأسرته ·فحضرت والدة الزوجة وبعض أقاربها معها ، وصممت على أن تصحب ابنتها معها الى القاهرة ومعها وليدها وجميع ما تملك من منقولات واشترطت لعودتها الى زوجها : أن يجد لها مسكنا خاصا لا تشاركها فيه أسرته · وبعد أن أوجد السكن الخاص بالبلدة وطلب عودة الزوجة الى معاشرته لم توافق أمها على عودتها الى الريف · ورأت أن يكون السكن بالقاهرة ثم بعد مضى ستين يوما على ترك الزوجة مسكن الزوجية بالبلدة رفعت دعوى نفقة · فعرض الزوج عليها أن يسلم اليها ربع مرتبه شهريا دون حاجة الى الخصومة القضائية ·· كما ارسل عدة مرات وسطاء كى تعود اليه ، ولكن بدون جدوى ·

وهو يطلب ارشاده الى الحل ، ويرضى به مقدما ·

● هذه المشكلة تكاد تتكرر فى مجتمعنا كل يوم ، وغالبا فى كل أسرة ناشئة فى أول عهدها بالحياة الأسرية ·

شاب يتزوج ،

ثم ينجب ولدا أو أكثر بعد فترة قصيرة من الزواج ،

ثم تبـــدأ الخـــلافات بين الزوجـة وحماتها ، أو بينها وأخت الزوج أو أخـواته ،

ثم تغضب الزوجة وتترك منزل الزوجية الى مسكن والديها ومعها ولدها أو أولادها ،

ثم تطالب بعدم السكنى مع الحماة أو الأقارب لزوجها ، واستقلالها بمسكن خاص ،

وقد يكون السكن الجديد فى مدينة كبرى كالقاهرة والاسكندرية ، بدلا من القرية ، فى الريف ،

ثم تتجه الى الخصومة فى المحاكم وتغلق مجال المصالحة بين الطرفين·

وكثيرا ما ينتهى الأمر بفشل الزوجية وانهيار الأسرة الجديدة ·

(أ) أين المشاركة فى بناء الأسرة الجديدة من قبل الزوج وأهله ، ومن قبل الزوجة وأهلها ؟

(ب) أين تحمل الزوجة وتحمل الزوج فى سبيل المحافظة على الولد الذى أنجباه معا بعيدا عن هموم الحياة الأسرية ؟

(جـ) أين أثر تعليم المرأة ؟ أين أثر تميزها بالثقافة المدرسية والاعـلامية اذا كانت لا تستطيع أن تعيش مع زوجها فى مكان غير مكان أسرتها؟ ألم يكن الزواج هو الأمل المنشود لها ؟ وألم تكن الأمومة تمثل هدفا رئيسيا عندها ؟

(د) ما هو مدى تحرر المرأة واستقلالها اذا كانت لا تستطيع أن توائم بين وظيفتها كزوجة ، والمحافظة على علاقتها بأهل الزوج ؟

(هـ) ان المشاركة فى الأسرة هى فى تضييق دائرة مشاكلها ، وفى حل هذه المشاكل ان وقعت ·

● أن أهل الزوجة هنا اذ ينقلون أثاث ابنتهم من القرية الى القاهرة ·· واذ يصحبون ابنهـا معها للاقامة معهم فى مسكنهم هنا ·· واذ يصرون عـلى ايجاد مسكن مستقل فى القاهرة واذ يعجلون بالخصومة القضائية ضـد الزوج ، يسيرون فى طريق « الانفصال » وعدم العودة ·· وترك الطفل بعيدا عن الأب ، أو بعيدا عن الأب والأم معا ·

ان الانفصال أو الطلاق تقتضيه الضرورة الاجتماعية ، بسبب سـوء المعاشرة وعدم تحمل أى من الزوجين مشقة العلاقة بينهما · فهل وصل الأمر هنا ، بالخلاف بين الزوجة وحماتها فى أول سنة من سنى الزواج ، الى المشقة والعنت فى معاشرة الزوجة لزوجها ؟ أم أن أهل الزوجة قبلوا على مضض منهم أن تسكن ابنتهم مؤقتا خارج القاهرة ، على أن تعود الى السكنى بها بعد فترة قصيرة ؟ وليكن الخلاف ـ ان لم يكن مفتعلا ـ بين الزوجة وحماتها سببا كافيا فى نظرهم فى عودة البنت الى الاقامة لقرب من الأهل بالقاهرة ؟ ·

● ان عادة تجمع أفراد الأسرة الواحدة فى مسـكن واحد ، أو فى مساكن بقرب بعضها من بعض ولو على حساب الروابط الاجتماعية ·· ولو أضرت ببعض هؤلاء الأفراد : هى عادة غير حضارية ·· هى عادة بدائية · ولم تزل من الأسف الشديد متغلغلة فى أعماق نفوسنا الى اليوم ، ولا بأس من أن يكون الحرص على تحقيق هذه العادة : سببا فى الفرقة بين زوجين لم تدم عـلاقة الزوجية بينهما أكثر من سنة واحدة ، على نحو ما هو وارد فى سؤال السائل هنا ·

● ان مسئولية المرأة بزواجها تنتقل فورا من محيط أهلها وعائلتها ·· الى محيط الزوجية ، والعلاقة التى تنشأ عن الزواج مستقبلا · والزوجة مطالبة ـ ان هى نظرت الى بيت أسرتها الأولى ـ ان تركز الآن نظرتها فى أسرتها الجديدة وما يتفرع عنها · وأم الزوج أو حماة الزوجة عضو فى الأسرة الجديدة · ويجب أن لا تنظر اليها الزوجة من أول الأمر كخصم لها أو كمصدر لمتاعبها فى صلتها بزوجها · بل يجب أن تنظر اليها كأم تسلم بالتدريج ابنها الذى حملت فيه ، ووضعته ، وسهرت معه الليالى ، وتحملت فى تنشئته المتاعب والصـعاب الكثيرة ·· لامرأة أجنبية عنها ، هى زوجته الآن ·· فعلى الزوجة أن تعيش فى نفس المشاعر والاحساسات التى لدى الأم ، عند معاملتها ·· يجب أن لا تنفعل فى موقف معها ·· يجب أن لا تقاطعها لسبب من الأسباب ·· يجب أن تعرض عليها خدماتها ·· يجب أن يطول صبرها معها · وبذلك تكسـبها فى جانبها كما تكسب زوجها نفسيا وماديا ·

● والحل الذى نراه : أن لا تتدخل أسرة الزوجة فى العلاقة الزوجية مع ابنتها ·· الى الحد الذى تدخلت فيه أسرة الزوجة للسائل ، وأن تترك هذه العلاقة تمر ببعض الصعوبات التى تعترضها · فعن طريق هذه الصعوبات تتضح الركائز التى تقوم عليها العلاقة مستقبلا · وهى عندئذ أقوى مما كانت · اللهم الا اذا كانت الزوجية التى تمت بين السائل هنا وزوجته من النوع الذى استهدف هدفا جانبيا بعيدا عن خصائص الزوجة الصالحة والزواج الصالح ، وهى خصائص التدين والاستقامة · فالزواج لجمال المرأة أو لشرفها ، أو لمالها ، أو لجمال الرجل أو لشرفه ، أو لماله ، ينتهى غالبا بالفشل ·

★ ★ ★

٦ ـ عبادة الله ·· ونعم الحياة الدنيا :

مواطن من احدى القرى يقص فى رسالة له :

انه شاب ناشىء فى عبادة الله وطاعته ·· متمسك بسنة رسولنا الكريم· وفوجىء بأنه يحس فى نفسه كراهية الدنيا ·· ويتجه بتفكيره الى الموت والحياة الآخرة · ولا يريد من الدنيا أى متعة فيها ·

ويذكر ان هذا الاحساس تملكه منذ شهر تقريبا ·· ولم يطلب توضيحا لشىء ·· أو رأيا فى هذا التغيير الفجائى ·

● هل هذا الشاب عكف فترة من الزمن قبل ظهور هذا الاحساس عنده ـ على قراءة بعض الكتب التى تبغض الانسان فى الحياة الدنيا ، وتدعو الناس الى الانصراف عنها ؟ وهى كتب الغلاة من المتصوفة ·

● هل هذا الاحساس الأخير الذى فوجىء به هذا الشاب فى حياته من طلب الموت والاسراع الى الحياة الاخروية يعود الى موجة نفسية عنده من التشاؤم ، فكره الاحياء معه فى المجتمع وتطلع الى الأموات فى قبورهم وفى مصيرهم فى الآخرة ؟

● هذا الشاب قطعا لم يقف على رسالة الاسلام بشأن الانسان ، كما تحكيها آيات القرآن الكريم : اذ أن هناك ثلاث مراحل فى حياة الانسان ، وثلاثة مواقف من الانسان نفسه تجاه المتع المادية ، تصورها رسالة الله فى القرآن :

أولا : هناك حياة الجنة التى عاش فيها آدم وحواء ، فترة من الزمن قبل خروجهما منها ، عقابا لهما على معصيتهما ٠

وثانيا : هناك الحياة الدنيا التى انتقل اليها آدم وحواء ، ثم نشأ فيها بنو آدم وحواء ، ويعيشـون فيها لفترة من الزمن قبـل القبر وقبـل البعث منه الى الحياة الآخرة ٠

وثالثا : هناك الحياة الآخرة ٠ وفيها الجنة التى اعدت للمتقين ٠٠ والنار التى تفتح أبوابها للكافرين ، وتقول : هل من مزيد ؟ ٠

وفى هذه المراحل الثلاث ، أو فى هذه الأنواع الثلاثة من حياة الانسان لم يحرم الاسلام على الانسان اطلاقا : الاستمتاع بمتع الجنة على عهد آدم فيها ، ولا بمتع الحياة الدنيا التى يعيش فيها الآن ٠٠ ولا بمتع الحيـاة الأخروية التى وعد بها المتقون ٠ وهى كلها متـع مادية ٠ ولم يطلب منـه الا أمرا واحدا عندما كان آدم وحواء بالجنة قبل وسوسة ابليس لهما وهو : أن يمتنعا عن الاقتراب من ثمار شجرة معينة ٠ وذلك فى قول الله تعالى : « **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** » (١) ٠

وكان الأمر بالامتناع عن الاقتراب من الشجرة المعينة : يصور طاعة آدم وحواء لأمر ربهما بينما الاكل من ثمارها كان يمثل عصيانهما لأمر الله جل جلاله ٠ فآدم وحواء وضعا هنا فى الجنة موضع التجربة والاختبار ، وترك لهما استقلالهما بالعقل : هل العقل الآن الذى تميز به الانسان عن الملك سيضمن لهما البقاء فى طاعة الله باتبـاع أوامره ، واجتناب نواهيه ؟ ٠ أم أنـه سيعجز عن مقاومة الشهوة والهوى التى تدفع الغريزة عن طريقهما ٠ وقد عجز فعـلا عن أن يضمن لهما الصراط السوى ، فاتجها الى الله طالبين المغفرة بعد خطيئتهما ، وداعين اياه : ٠٠٠ « **قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** » (٢) وكان جزاء الله لهما هو أن أخرجهما من الجنة مع ابليس ، للاقامة على الأرض حتى يحل وقت البعث من القبور : « **قال اهبطوا بعضكم لبعض عـدو** (فالانسان ممثلا فى آدم وحواء عـدو للشيطان ٠٠ والشيطان ممثلا فى ابليس عـدو للانسان) ، **ولكم فى الأرض مستقر ومتـاع الى حين ٠ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنهـا تخرجون** » (٣) ٠

---

(١) الأعراف : ١٩ (٢) الأعراف : ٢٣ ٠

(٣) الأعراف : ٢٤ ، ٢٥ ٠

وطالما قد عجز العقل البشرى عن أن يضمن للانسان فى شخص آدم وحواء • دوام الطاعة لله : تفضل على الانسان برسالة الرسل الى الاجيال المتعاقبة من البشر من أولاد آدم وحواء : « **يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ، ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون** » (١) • واللباس الذى أنزله الله سترا وغطاء لنقص الانسان وعجزه هو لباس الرسالة الالهية وهدايتها •

● والدنيا وهى المرحلة الثانية فى حياة الانسان ، خلقت ولها متعها المادية وزينتها ، ولها بريقها واغراؤها للانسان : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب** » (٢)• وهى خلقت على هذا النحو لتكون دار الاختبار والابتلاء لطاعة الانسان لله ، طبقا لما جاء فى رسالة الله من أوامر ونواهى •

وأوامر الرسالة الالهية ونواهيها منذ بداية الرسالات حتى القرآن الكريم لا تحرم على الانسان فى الحياة الدنيا : الاستمتاع بمتع الحياة الدنيوية المادية • ولذا جاء فيها استنكار من ينكر حل الاستمتاع بها •• استنكار تحريم من يحرمها •• جاء فى قول القرآن الكريم :

« **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا** (أى حل لهم) **خالصة يوم القيامة** (أى وحلها لهم فى الآخرة قاصر عليهم وحدهم) ، **كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** » (٣) •

والاستمتاع بالمتع المادية من زينة الحياة الدنيا وبطيباتها من الرزق : أمر مباح • وجاء تأكيد اباحته بطلب الاستمتاع بها فى قول الله تعالى : « **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا** » (٤) • فتلفت نظر الناس اليها للاستمتاع بها •

ولكن بجانب اباحة الاستمتاع بمتع الحياة الدنيوية المادية تطلب عدم التجاوز فى الاستمتاع بها •• تطلب عدم الاسراف فيها ، فتذكر الآية بعد

---

(١) الأعراف : ٢٦ •　　(٢) آل عمران : ١٤ •

(٣) الأعراف : ٣٢ •　　(٤) الأعراف : ٣١ •

الاباحة قوله تعالى : « **ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين** » (١) ·· وتقيد الاستمتاع بعدم الاسراف ، حرصا على مصلحة الانسان فى نفسه وفى علاقته بالآخرين فى مجتمعه ·

وهكذا : الهروب من الدنيا ليس مطلوبا فى رسالة القرآن ·· وتحريم الاستمتاع بمتعها ليس واردا كذلك فيها · بل مع حل الاستمتاع بها : السعى فى سبيل الرزق · وذلك بتحصيل هذه المتع : « **فاذا قضيت الصلاة** (بالوقوف بين يدى الله جل جلاله) **فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** » (٢) ··

وتكليف القرآن للانسان اذن فى عدم الاسراف فى الاستمتاع بها وليس فى عدم تناولها والفرار منها ·

● والآخرة وهى المرحلة الأخيرة والباقية فى حياة الانسان ، فيها نعيم الجنة ·· وفيها عذاب النار · وتصف بعض آيات القرآن الكريم نعيم الجنة فى الآخرة فى قوله جل جلاله :

« **ان المتقين فى جنات ونعيم · فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ·كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون · متكئين على سرر مصفوفة ، وزوجناهم بحور عين · والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء ، كل امرىء بما كسب رهين · وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون · يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تأثيم · ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون** » (٣) ·

● والاستمتاع بالمتع المادية اذ قيد على عهد آدم فى الجنة بعدم الاقتراب من شجرة معينة ·· وقيد فى الدنيا بعدم الاسراف فيه ، فانه فى نعيم الآخرة مطلق من كل قيد · لأن الاختبار فى طاعة الله قد تم · وعلى أية حال فالحديث عن الفرار من الدنيا ، والتشاؤم فيها ، وطلب الموت واللحاق بسرعة الى من فى القبور : نزعة غير اسلامية ·

---

(١) الأعراف : ٣١ (٢) الجمعة : ١٠

(٣) الطور : ١٧ ـ ٢٤ ·

ومن يعبد الله يجب أن يراجع كتابه ليعرف منهج السلوك فى حياة الانسان · فالانسان كما يصلى ويصوم ويزكى هو يأكل ويشرب ويتزوج النساء ، يسعى فى سبيل الرزق وتحصيل المال ·

حياة المسلم حياة ايجابية : يواجه المشاكل والأزمات بالصبر والايمان ولا يفر منها · ولذا من ينهى حياته هربا من المواجهة للتحديات لا يكون انهاء حياته معبرا عن بقية ايمان بالله فى نفسه · من ينتحر فقد يئس من رحمة الله ·

● والسائل عليه أن يستعين بقراءة المعوذتين · فان ما يلم به الآن وسوسة من وساوس الشيطان · يجب عليه أن يتوكل على الله فى كل ما يفعل ، وأن يؤمل فى الله خيرا دائما : اليوم ·· وغدا ·

★ ★ ★

٧ ـ اجر كامل ·· وعمل أقل فى الزمن :

مواطن من احدى القرى يعرض :

انه حاصل على دبلوم الصنائع الثانوية ، ومعين فى احدى الوزارات وموزع على عملية مياه بالاشتراك مع أربعة آخرين · ومجموعهم خمسة وزعوا على العمل فى يومين : ثلاثة فى يوم ·· واثنان فى يوم آخر · وهو ضمن الثلاثة · وعملية المياه تدور مرتين : احداهما فى الصباح والأخرى فى المساء ·

وقد التحق بكلية الهندسة فى محافظته ، ـ بالاضافة الى العمل الذى يباشره ـ بعد ان حصل على الثانوية العامة بجانب دبلوم الصنائع الثانوية · وزميلاه فى عملية المياه يعرفان عنه أنه يدرس فى كلية الهندسة بالصف الثانى ، كما يعرفان مسبقا ان كلية الهندسة من الكليات التى ليس بها انتساب · فأرادا ان يوفرا له وقت الصباح للكلية : بأن يقوما معا فى هذه الفترة الصباحية بعملية المياه المعينين من أجلها ·· بينما يقوم هو وحده بالعمل فى الفترة المسائية ابتداء من الساعة الرابعة مساء · وهكذا يتعاون الثلاثة بعضهم بعضا بالاتفاق فيما بينهم على أداء واجب العمل الرسمى طوال الوقت المحدد فى الصباح والمساء · كما يحرصون على عدم قطع المياه ، وعلى استمرارها بكفاءة تامة ·

ويسأل الآن :

هل الأجر الذى يحصل عليه من مباشرته عملية المياه حرام أم حلال ؟ أى هل هو ملتزم بالعمل طوال اليوم فيجلس مع زميليه من الصباح الى المساء أم أن اتفاقهم هذا على توزيع العمل بينهم على النحو المشار اليه يبرر اجره عن العمل مع انه يقضى فيه الوقت منذ الساعة الرابعة بعد الظهر ، وليس كل الوقت منذ الصباح ؟ ٠

● هذا الطالب والموظف يريد أن يحاسب نفسه أمام الله أولا ، وأمام ضميره ثانيا ، لأن ساعات العمل التى يؤديها فى مباشرة عملية المياه التى يؤجر عليها : أقل فيما يبدو عن الساعات التى تطلب رسميا منه ومن زملائه٠ فاذا كانت مدة العمل الرسمى فى اليوم هى ثمانى ساعات ، فهو يباشر عمله لست ساعات أو لخمس ساعات ، على ان يقوما زميلاه نيابة عنه حسب الاتفاق فيما بينهم بمباشرة العمل ثلاث ساعات أو ساعتين ٠ وهى المدة التى يضطر ان يقضيها فى كلية الهندسة للدراسة العملية والعلمية ٠

هذا الموظف الطالب يجمع بين أداء عمل متقنا حتما فى ادارة الاسكان بمحافظته ٠٠ وبين الاستزادة فى الدراسة والبحث فى مواد كلية الهندسة ٠ ومن شأن هذه الدراسة الاضافية أن تعطيه فرصة أوسع لزيادة الاتقان فيما يباشره من عمل فى مرفق المياه بالاسكان ٠ فاذا قل وقت العمل عن المطلوب رسميا فقد استفاد العمل ذاته من حرص هذا الموظف الطالب على أدائه فى اتقان ٠ وامانته فى العمل خير ما يقدمه لوظيفته ٠ وهذه الامانة جزء من خلقه العام ٠ فالذى يسأل مثل سؤاله هنا يعى فى يقظة تامة ما يجب عليه نحو ربه ونحو الآخرين معه فى العمل والمجتمع ، ونحو العمل نفسه ٠

والموظف الأمين الكفء لا يقاس عمله بالكم وعدد الساعات التى يقضيها فى الجلوس مع زملائه ٠ وانما يقاس بالنوعية التى يباشر بها العمل ٠٠ يقاس بمدى امانته وصبره ، وكفاءته ، ودقته ٠ وهذه الصفات تجعل من صاحب العمل ــ وهو هنا المصلحة الحكومية ــ رب عمل ناجح : فعمله يؤدى فى نجاح ٠٠ والات عمله مأمونة التلف والخسارة ٠

ولو أن ادارة المرفق باركت التعاون بين الزملاء الثلاثة وأقرت الاتفاق بينهم على توزيع العمل ، حتى تتاح فرصة الدراسة بكلية الهندسة لهذا الموظف الطالب ، فى غير غفلة من جهة الرقابة الرسمية لأحسنت صنعا للثلاثة من الزملاء والآخرين عداهم ولشجعت صاحب الامانة والخلق الكريم على الاستمرار فى امانته عندما يؤدى وظيفته ٠

ولكن ما تسميه الأجهزة الحكومية ، وكذلك القطاع العام ، « بالروتين » ·· قد يحول دون تمكين رئيس من الرؤساء : أن يتخذ مثل هذا الموقف فى مثل هذه القضية ·

● اننا لا نوازن فى الجواب على سؤال الطالب هنا بين موظف يحرص فقط على أداء ساعات العمل الرسمى ، دون ان يحرص على نوعية الانتاج ، وصيانة ما اؤتمن عليه من مال عام ممثل فى مصنع أو فى مرفق من المرافق العامة ·· وبين موظف آخر يحرص على نوعية الانتاج والمحافظة على ما ائتمنته المصلحة عليه ، على أن ظروفه قد تكرهه على قبول عرض زميل له بمباشرة العمل نيابة عنه لمدة ساعة أو ساعتين ، الى أجل معين · وبذلك ينتقص من الوقت الرسمى للعمل الموكل اليه : ساعة أو ساعتين كل يوم ·

كل من الموظفين يأخذ أجرا واحدا · هذا يحافظ على مدة العمل وليس على نوعه ·· وذاك على نوعه وليس على مدته ·· انا لا نوازن بين هذا من الموظفين · لأن نتيجة الموازنة هى أن صاحب النوع فى أداء العمل أفضل قطعا من صاحب الأداء لساعات العمل دون كمه فضلا عن نوعه ·

● ولكن الجواب يكمن فى أن « التعاون » بين هؤلاء الثلاثة معنى متبادل · وهو معنى انسانى لا يقاس بوقت أو بأجر · وهو يرتبط بظروف وأوضاع قد تجعل اليوم صاحب الحاجة بينهم ، على استعداد فى غد أن يرد المعروف أو الجميل لمن اسداه اليه بالأمس · قد تأتى العطلة الصيفية ويكون هناك وقت لهذا الطالب الموظف يمكنه ان يخدم به زميليه ليوفر لهما حاجتهما الى الزمن ، دون ان يسىء الى المصلحة العامة وهى أداء العمل فى اتقان وفى مدة العمل الرسمى الخاص به ·

● وهكذا : الأجر الذى يأخذه الموظف الطالب على عمله فى مرفق المياه فى ادارة الاسكان ـ المشار اليها ـ هو أجر حلال له · لأن المصلحة لم ينلها ضرر اطلاقا بتخلفه ساعة أو ساعتين فحقها مؤدى عن طريق التعاون بينه وبين زميليه والتعاون صوره عديدة وبالأخص فى القرى · فـ « النقوط » التى تعطى فى اليوم التالى لزفة العريس فى الصباحية ·· والمشاركة التى تقدم من الجيران فى أوقات الأكل للضيوف القادمين للعزاء : من صور هذا التعاون ·

زميلا الطالب الموظف يقدمان خدمة له لتمكينه من الدراسة بعض ساعات النهار وهما متعاونان معه · والخدمة التى تقدم منهما : استمرار العمل فى عملية المياه ، فى الأوقات التى كلف بها الثلاثة كمجموعة عمل · والزميلان

لا يأخذان أجرا عن الساعتين الاضافيتين لعملهما الرسمي · وكأنهما وهبا أجرهما لزميلهما الثالث · وهو الطالب الموظف · فهو حلال · والله وحده هو الذى يجزيهما خير الجزاء ·· وهو وحده الذى يساعد هذا المؤمن الأمين على أن يحقق هدفه ويلهمه الصواب دائما ·

★ ★ ★

٨ ـ الصلاة التى لا تنهى عن الفحشاء والمنكر :

يقول مواطن لم يذكر عنوانا :

يبلغ السادسة عشرة سنة ، وخمسة اشهر · اى انه فى سن المراهقة · وانه يصلى ، ويصوم رمضان ، ويقرأ القرآن ، ولا يكذب · ولكن يعيبه انه يباشر جريمة الزنا ، رغم انه يعرف عقوبتها · ومع ذلك لا يستطيع منع نفسه من مباشرة هذه الجريمة ·

ويسأل : ماذا يفعل حتى يكون فى رضاء الله وطاعته بالاستقامة فى السلوك ؟

● هذا السائل يتعجب من انه يؤدى فروض العبادات من صلاة وصوم ، ويقرأ القرآن ، ومع ذلك يباشر الفاحشة ! ولكن ينبغى ان يكون عجبه اذا كانت تأديته للعبادة صادرة من قلب يعمر بجلال المولى سبحانه وتعالى ، وبخشوع يمنع مفاتن الدنيا من أن تغزو نفسه الى حد الاستغراق ·

انه فى مرحلة المراهقة التى تسيطر فيها الغريزة الجنسية على غرائز الانسان · وهذه الغريزة لها قوتها وفاعليتها · ومن جانب آخر أداؤه للعبادة هو اداء بحكم العادة · فهو يؤدى الصلاة لأنه تعود ان يؤديها · ويصوم رمضان فى أسرته لأنه تعود ان يصومه بينها · ويقرأ القرآن لأنه تعود أن يقرأ كذا جزء ·· أو كذا سورة ، دون أن يتأثر نفسيا أو روحيا بمعنى ما يقرأه · فاتجاهه لله بالعبادة وبقراءة القرآن منعزل عن التحكم فى الغريزة فى المرحلة القلقة من مراحل حياته · وبذلك يمكن أن يؤدى عادة الصوم ، والصلاة ، وقراءة القرآن ·· كما يباشر الفاحشة والمنكر ·

● انه لكى يكون الانسان عابدا لله يجب ان يفكر فى الله ·· والتفكير فى الله يستلزم أن يغض المفكر فيه : بصره عن ان يقع على محرم ، فضلا عن تركيز النظر فيما تحرم رؤيته · فكيف بمباشرة الفاحشة ، وكشف السر عما

لا يباح كشفه الا بعهد وميثاق مع الله · والله اذ يقول لرسوله الكريم : « **اتل ما أوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر ، والله يعلم ما تصنعون** » (١) ·· فيأمره باقامة الصلاة ·· ثم يؤكد له : أن الصلاة تبعد المصلى عن الفاحشة ، وهى الزنا ، وعن المنكر وهو ما يستقبحه الناس مما عداه ·· فيأمره ويؤكد له وهو على علم بما يأمر وبما يؤكد ·· وصادق فيما يأمر ويؤكد ، من أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فاذا اقام الصلاة ، وأداها فى اوقاتها من يعلن ايمانه بالله ، ثم وجد انه لم ينته عن الفحشاء بأدائه الصلاة ، بل هو مستمر فى مباشرتها فليعلم ان الخطأ ليس فى ربط تجنب الفاحشة والزنا بأداء الصلاة · وانما بنوع الصلاة التى تؤدى · فالسائل هنا عندما يؤدى الصلاة يؤديها ركوعا وسجودا ·· يؤديها شكلا ومظهرا ·· ولكن لا يؤديها قربى الى الله فيستحضر فيها جلال المولى فى النية ، وفى القراءة ، وفى الركوع وفى السجود ·· ومن ثم تتكون لديه الخشية من الله · وعن وجود الخشية من الله فى نفس المصلى يبتعد عن الزنا والفاحشة والمنكر ، بقوة الارادة التى تحمله على عدم الانحراف فى السلوك ·

الصلاة هى الحصن الذى يحتمى فيه الانسان عند مجاهدة النفس · ومجاهدة النفس : الوقوف فى وجه شهواتها واهوائها ·· هى الوقوف فى الصراع الداخلى فى النفس ضد هذه الشهوات والاهواء · اذ النفس البشرية من خصائصها : انها أمارة بالسوء تحمل على مسلك السوء ، واقتراف المعاصى ، والفواحش ، والمنكرات ، وعلى صاحب هذه النفس الأمارة بالسوء أن يلجأ الى هداية الله ·· يلجأ الى عبادته ، ويستمد من هذه العبادة العون فى الصراع النفسى ضد الشهوات والاهواء ·

كانت الصلاة عبادة من العبادات · لأن استحضار جلال المولى فيها يحمى المصلى من الوقوع تحت اغراء الشيطان ·· والصيام عبادة من العبادات · لأن أخذ الصائم نفسه بالحرمان من الشهوات طوال فترة الصيام تدريب له على تحمل المشقة والوقوف فى وجه الصعاب ·· وما ابتعاد الانسان عن فاحشة الزنا الا حرمان من شهوة قد يشق الابتعاد عنها ·

● وما يفعله السائل هنا ـ وما يفعله كل من يقع فى مرحلة المراهقة تحت تأثير الغريزة الجنسية ، فيباشر الزنا ، أو يباشر الاستمناء ـ أن يدخل مجاهدة النفس · وهى محاولة رد النفس اذا حملته على السوء وارتكاب الفاحشة ، أو كادت تقع تحت الاغراء والمفاتن التى تحيط به ·

---

(١) العنكبوت : ٤٥ ·

مجاهدة النفس ان يلتزم بتعاليم الاسلام أولا ، فيما يتعلق بالمرأة ·· ان يبتعد عن الاختلاط بها ·· وان يغض النظر ، فضلا عن ان يرسل نظرات فاحصة عندما تمر به أو عليه ·· فضلا عن ان يداعبها بكلمة أو حركة ·

مجاهدة النفس : ان يحول المجاهد بقوة ارادته وبين ما تشتهيه نفسه اذا كان ما تشتهيه يمثل معصية لما أمر به الله أو نهى عنه · كما يجاهد الصائم ما تحاول ان تحمله نفسه عليه من الاستمتاع بالأكل والشرب ·· وغيرهما وقت الصوم ·

مجاهدة النفس تدريب ·· يصير الى عادة · وهى عادة التحكم فى شهوات النفس واهوائها · والتدريب فى بداية امره شاق · ولكن بعد فترة يصير عادة ·· والعادة لا تحتاج الى شعور فى أداء وظيفتها · بل وظيفتها تؤدى على نحو الى · ولكن لكى يكون للانسان ثواب المجاهدة عند الله يجب أن يكون المجاهد على ذكر بما يمنع نفسه من مباشرته ·· يجب ان يكون يقظا دائما ·· وعلى نية وقصد فى مجاهدته ، مستمدا العون من الله سبحانه وحده ·

* * *

٩ ـ التطرف فى فهم الدين :

اخوان شقيقان يسألان عن وضع قائم لهما ، ويريد شقيقهما الاكبر أن يعمل كلا منهما على ترك وضعه الحالى ·

الشقيق الاكبر مهاجر الى احدى الدول العربية ، ويحمل بكالوريوس الزراعة من احدى الجامعات عام ١٩٧٧ ويعمل مدرسا فى مدرسة ابتدائية هناك ·

والشقيق الأوسط يحمل دبلوم الصنائع سنة ١٩٧٨ ، ويدرس فى كلية لم يحدد نوعها ·

والشقيق الأصغر ، يدرس بالصف الأول فى كلية التجارة باحدى الجامعات ·

الشقيق الأكبر ملتحى · ونصح زوجته بالكف عن العمل · وهى حاصلة على بكالوريوس علوم ، قسم الرياضة ، من جامعة القاهرة · وتركت العمل تحقيقا لنصيحته ·

وينصح الآن شقيقيه : الأوسط والأصغر : بترك الدراسة الجامعية ٠ ينصح الأصغر بترك الدراسة فى الصف الأول بكلية التجارة ٠ لأن التعلم فيها ، والعمل بعد التخرج منها حرام ٠

وكل من الشقيقين يسأل : هل يستجيب كل منهما لرأى أخيهما الأكبر ، ويتركا الدراسة فى الكلية للحرمة التى يدعيها ؟

● الشقيق الاكبر ينصح زوجته بالكف عن العمل خارج المنزل ، لأنه يرى فيه اختلاطا بغير المحارم ٠٠ أو لأنه يرى انها لا تستطيع أداء واجب الأمومة وواجب الزوجية ، مع اداء العمل الخارجى فى الوقت نفسه ٠ والاختلاط بغير المحارم حرام ٠٠ واداء واجب الأمومة وواجب الزوجية مقدم على اداء العمل الخارجى البعيد عن الاختلاط ٠ فالزوج فى جانب الحق هنا٠ وعمل الزوجة فى الخارج شأن من شئون الزوجين وحدهما ٠ هما اللذان يفصلان فيه ٠

وأما نصحه للشقيق الأصغر فى الصف الأول فى كلية التجارة ٠٠ ، بترك الدراسة فى الكلية ، فربما لانه يتصور أن فائدة الربوية تدرس فى الكلية من جانب ٠٠ وان المتخرجين فيها يمارسون اعمال الحساب فى البنوك التى تقرض بالربا ٠ والدراسة فى كلية التجارة اذن ٠٠ والعمل بعد التخرج فيها يساعد على رواج الربا أو على الأقل على وجوده فى المجتمع المسلم ٠

لم ينقل الشقيق الأصغر شيئا من هذا التصور عن شقيقه الاكبر الملتحى٠ وكل ما يرويه فى رسالته عنه : انه يحرم التعليم فى كلية التجارة ٠ وليس هناك تصور لتحريم التعليم فى هذه الكلية ٠٠ وتحريم عمل المتخرج فيها بعد التخرج الا صلة الكلية برأس المال ومايتعلق بتنميته وادارته٠

ورأس المال الحر قائم على الفائدة الربوية على القروض التى تمنحها البنوك للمشروعات : الصناعية ، والتجارية ، والزراعية ٠

● فهل الأخ الاكبر يقيس مثلا تعلم الطالب أساليب المحاسبة وادارة الاعمال فى كلية التجارة ٠٠ ثم مزاولة العمل التجارى ، والمالى فى البنوك والشركات : على الساقى الذى يقدم الخمر لشاربها ؟ وساقى الخمر وشاربها كلاهما ملعون عند الله !

ولكن هناك فرق بين الوضعين ٠٠وهو أن ساقى الخمر مشترك فى مباشرة جريمتها وهى تناولها ٠ والمحاسب لا دخل له فى جريمة الربا اذا قام بالأعمال

الحسابية لبنك بالربا مثلا · فجريمة الربا تقع من صاحب المال المقرض بالفائدة المحددة لصاحب حاجة الى القرض · فهى تقع وان لم يساعد على ضبطها بالكتابة والحساب احد غير المقرض ذاته · جريمة الربا جريمة استغلال حاجة الغير الى القرض · ولا دخل لمن يتعلم الحساب او يباشر المحاسبة فى هذا الاستغلال ·

فمواد الدراسة فى كلية التجارة تعين المتخرج فيها على ادارة الأعمال ، والقيام بالمحاسبة فى البنوك والشركات والاعمال الخاصة · وليس من الضرورى ان يباشر كل متخرج رصد الفائدة الربوية فى محاسبة ما · والعامل الرئيسى فى انقاص المعاملات الربوية هو ايمان اصحاب رؤوس الاموال باخراج زكاة المال ·· ثم بالابتعاد تماما عن استغلال الضعفاء وأصحاب الحاجة · فاذا نمت روح التعاطف بين الناس ضعف روح الاستغلال ، وبالتالى ضعف التعامل بالفائدة الربوية ·

ولو فرض ان كليات التجارة اغلقت جميعها لم يكن من نتيجة اغلاقها وقف التعامل بالربا : وانما اولى النتائج لذلك خسارة كبيرة فى ضبط الاعمال التجارية والمالية والمحاصيل الزراعية ·

ومباشرة ضبط الفائدة الربوية فى اعمال البنوك والمصارف والاعمال الخاصة : لا يمكن أن ندعى : انها حرام · لانها أولا لا تقدم ولا تؤخر فى اضعاف روح الاستغلال عند المقرضين بالفائدة · وقيام البنوك الاسلامية فى الوقت الحاضر لا يعود الى قلة المقلين من المتخرجين فى كليات التجارة على مباشرة المحاسبة فى ارباح القروض فى البنوك · بل بالاحرى يعود الى قوة الروح الاسلامية التى راجت بين الاقتصاديين واصحاب الأموال من الافراد · وهى قيام « اقتصاد » اسلامى على أساس من تحريم الفائدة فى الاموال المتداولة عن طريق القروض ، ومن تشجيع لروح « المشاركة » فى المشروعات الصناعية والتجارية ، والعقارية ·· وغير ذلك من فرص التنمية العديدة ·

مطلوب من المسلم ان يعرف · واكثر سور القرآن الكريم من الوحى المكى الذى يعرض « للمادية » ·· أو « الجاهلية » ·· ومظاهرها وآثارها فى تخريب القيم الانسانية · وكما يقال : معرفة الكفر ليست بكفر ··

والشقيق الأكبر الملتحى ينبغى له أن يراجع الأمر مرة ثانية ·· وسيتضح له : أن الدراسة فى كلية التجارة ليست حراما · واذا كان ينفق من مرتبه على شقيقه فى هذه الكلية فله جزاء عليه من الله · لأنه لا يخرج عن معنى « البر » بأشقائه ، فى التمكن من الدراسة فى هذه الكلية ·

★ ★ ★

١٠ ـ سوء معاملة الابن لأمه وأخواته :

سيدة باحدى المحافظات تذكر قصتها الآتية فى حزن وألم بسبب موقف ابنها الأكبر منها ومن أخواته الصغار بعد وفاة والدهم ٠٠ وتطلب توجيه النصح اليه وارشاده الى خير المعاملة :

اما قصتها فتتلخص فى أن زوجها ترك لها عشرة من الأولاد ٠٠ وفدانين بالايجار ، بعد مرض لازمه اربع سنوات ٠ وتعتقد انها قامت بواجبه اثناء المرض ، كما قامت بما ينبغى نحو الأولاد : فى معيشتهم ، وفى تعليم بعضهم، حسب الامكانيات المتاحة لها ٠ وعدد الأولاد عشرة ٠

ولكن الامر الذى يشق عليها ويصعب مسالك الحياة فى وجهها هو ابنها الأكبر فى قسوته عليها وعلى أخواته ٠٠ وفى عدم احساسه بالمسئولية فضلا عن أن يتحمل قسطا منها ، وفى هذه الفترة بالذات التى تكدح فيها أمه فى غير حد حفظا لحياته وحياة أخواته معه ٠ وهو طالب الآن بالازهر ٠ وتتمنى أن يكون عطوفا وصاحب حنان عليها وعلى الاولاد حتى يسهل الحياة عليهم على الاقل من الوجهة النفسية ٠

وأما رجاؤها فهو أن نتولى نصحه وتوجيهه نحو ما ينبغى عليه ، وبالأخص فى هذه المرحلة الشاقة التى تمر بها والدته ٠

● ان هذا الطالب يعيش فى جو كان ينبغى أن ينمى عنده الشعور بالمسئولية نحو امه ، ونحو اخواته ، وان يزيد فى ترابطه وتعاطفه معهم :

فالله قد جعل اسرته فى بسطة من الأولاد ٠٠ وفى ضيق من الرزق ٠ كما هيأ له ان يكون طالبا باحدى كليات الازهر ، مما يعينه على فهم ما يجب عليه نحو والدته ونحو أخواته على السواء ٠ ثم أخيرا هو أكبر اخواته ٠ اى انه يلى والده بعد وفاته فى مباشرة وحماية أسرته من الأذى والضرر ، وفى مشاركتها فى دفع العنت عنها فى معيشتها وفى حفظ بقائها ٠

فهذه عوامل ثلاثة من شانها ان تكون أو تنمى الشعور بالمسئولية ٠ فمن يرى له اخوة وأخوات يصل عددهم الى التسع وهو الأخ الأكبر بالاضافة لهم ، لا يمر عليهم بنظره مرورا خاطفا ٠ وانما يتأمل فى أوضاعهم اليوم وغدا ٠٠ يتأمل : كيف يقيهم الجوع ، والحرمان ، والمرض ، والجهل ، أو كيف يشارك فى وقايتهم من هذه الأمراض ٠ وهذا يولد الاحساس بالمشاركة فى شئونهم ٠

ومن يدخل كلية من كليات الازهر اذا أصم اذنيه عن سماع ما فى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، خاصا بالوالدين ، وذوى الرحم فانه لا يحق له أن ينتسب الى الأزهر · فالأزهر مصدر اشعاع ونور يوضح السبيل فى علاقات أفراد الاسرة بعضها ببعض ، قبل أن يكون للتجارة أو الطب ·· أو العلوم ·

ومن يكون أكبر اخوته وأخواته يكون أكبرهم فعلا ليس بالسن فقط،وانما بمستوى التعاطف معهم · وهو مستوى يلى مستوى الوالدين فى الحدب والرعاية لهم ·

ومن يرى والدته تكدح فى سبيل لقمة العيش لأخوته وأخواته ، وفى سبيل توفير وسائل الاقامة له بالقاهرة مدة الدراسة بالكلية ، وهى الوحيدة : فانه لابد أن يقف قليلا ليراجع وضعها ووضع أسرته · فاذا لم يستطع المساعدة المادية فلا أقل من المساندة النفسية والروحية وهى تلك المساندة التى تتجلى فيها عواطف المحبة والمشاركة ، بدلا من القسوة والاهانة واللا مبالاة ·

ومن الاسف الشديد : ان حب الذات أو الانانية اصبح لدى الشباب ظاهرة من الظواهر القائمة والسائدة فى مجتمعاتنا الاسلامية · الفرد يفكر فى نفسه ·· ويعمل من أجل مصلحته الخاصة ·· ويسعى ضد غيره ان كانت فى عداوته منفعة له · وقلما ينظر الى غيره نظرة عطف ومعارنة ومودة ·

ومن سيطرة الانانية على الشاب اذا سمع قول الله تعالى : « **ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها** » (١) ·· لا تتحرك مشاعره ، وعلى الأخص نحو والدته ويظل مستغلا لعاطفة الامومة أو عاطفة الابوة نحوه : يأخذ ولا يعطى ·· ويسأل الكثر وليس امامه الا القليل ·· ويغضب وربما يسىء فى اهانته لوالديه ، بما يتجاوز البذاءة وسلاطة اللسان·

واذا سمع قول الله تعالى : « **واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** » (٢) · لا يسمعها على انها نصيحة واجبة الأداء بين ذوى القربى بعضهم مع بعض ·· بين الاولاد ، والاخوات ، والاخوة ، وانما يسمعها على أنه كلام يقرأ ويرتل ، دون أن يطبق ·

● والسائلة لها الجزاء من الله وحده · وهى مطالبة بالصبر فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا · والله جل جلاله هو القادر على أن يحول

---

(١) الأحقاف : ١٥ (٢) الأنفال : ٧٥

اولادها الآخرين الى زهور زكية الرائحة تكون ملء سمـــعها وبصرها فى حياتها الباقية · وهو القادر كذلك علىأن يهدى الولد الأكبر ويدخله فى طاعته· وعندئذ تسجد لله شكرا « **الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتـم منه توقدون** » (١) فالشىء يتحول الى ضده بقدرته وحده سبحانه وتعالى ·

★ ★ ★

١١ـ لماذا يرفض الاسلام التشاؤم ؟

طالب بكلية طب بشرى باحدى المحافظات يذكر :

انه كان دائما فى خلال سنوات الدراسة السابقة من اوائل المحافظة ، وكان محبوبا من مواطنيه ووسط زملائه · وكما يقول : انه كان من مقومات هذا الحب : أنه كان متفوقا فى دراســـته ، وكان يعاون زملاءه فى الشرح والمذاكرة · كما كان يمارس الرياضة أيضا مع معارفه · أى انه كان مرحـا ومتفائلا فى حياته ·

ولكنه منذ سنة تقريبا يسيطر عليه التشاؤم بمعنى انه لو ساعد واحـدا من زملائه ثم رسب بعد ذلك يعتبر نفسه السبب فى رسوبه · ولو انضـم الى فريق فى اللعب وهزم هذا الفريق يلوم نفسه بانه مصدر الهزيمة · وهكذا · ومن أجل ذلك يظن انه « نحس » ومع انه يؤمن بالقضـــاء والقـــدر ، وانه لا يستطيع أن يخرج من دائرة التشاؤم ·

ويسأل عن رأى الاسلام فى التشاؤم وما يجب على المؤمن أن يفعله ليعود الى الايمان بالله وحده ؟ ·

● دعى المجتمع البشرى على عهد الرسول عليه السلام الى الايمان بالله وحده ، وترك : الطيرة ، أو العيافة · وهى زجر الطير ومشاورته · فكـان الرجل اذا أراد سفرا أو غيره خرج الى طير أو ظباء · ويطلق الواحد منها · فان طار يمينا تيمن واستبشر · وان طار شمالا تشاءم ورجع · وذكرت الطيرة عند النبى عليه السلام فقال : احسنها الفأل ولا ترد مسلما (أى عن قصده) فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : « اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت · ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم » ·· فالمســـلم يجب أن يتفاءل ولا ينصرف عن قصده الذى قصده بسبب تشاؤم من أمر ما · وعليه أن يدعو الله لازالة الشر الذى يلم به ·

---

(١) يس : ٨٠

وفى حديث عن عبد الله رضى الله عنه : أنه عليه الصلاة والسلام قال : « الطيرة (وهى استخدام الطير فى معرفة المستقبل) شرك ، ثلاثا (تنفيرا ممن يعتقد أنها تبعد الضر وتجلب النفع) وما منا الا (أى ما منا أحد الا يخطر بباله شىء منها) ولكن الله يذهبه بالتوكل » ..

● وكذلك دعى المجتمع البشرى اذ ذاك الى ترك استطلاع النجوم فى تحديد المستقبل ويروى عنه عليه السلام : « من اقتبس علما من النجوم (أى بادعاء انها تؤثر فى الكون كنجم كذا يجىء بالأمطـــار .. ونجم كذا يأتى بالريح) اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » .. والى ترك الهامة . وهى طائر اذا سقط فى مكان تشاءم أهله .. والى ترك الغول (والغول أحـــد الغيلان . وهى نوع من الجن والشياطين ـ كما كان يعتقد الجاهليون قبـل الاسلام ـ تظهر للناس بصور شتى تضلهم عن السبيل وتهلكهم) .

● فربط مستقبل الانسان فى افعاله وتصرفاته بحركة نوع من الطير فى طيره .. أو بحـــركة بعض النجوم .. أو باعتقـــاد فى خرافة الجن والشياطين .. أو بالصدفة فى سقوط طائر معين فى مكان معين .. كل ذلك وامثاله كان ظاهرة اجتماعية سائدة فى مجتمع الجاهلية قبل الاســـلام . والحديث الصحيح هنا يعتبر الاعتقاد فى هـذه الظاهـرة شركا : « الطيرة شرك ، ثلاثا » (أى قالها ثلاث مرات) ..

فدعوة القرآن الى وحدة الالوهية دعوة الى الاعتقاد بأن صـــاحب التصرف فى الأمر : فى دائرة الانسان ، وفى الكون كله : واحد لا شريك له وهو الله سبحانه وتعالى . فلا يشـــاركه جن ولا انس .. ولا يشـــاركه نجم ولا طير ، فيما يقع للانسان فى مستقبل حياته . وليست هناك صدفة ولا حظ ، وانما هناك قضاء وقدر من الله جل جلاله .

هناك الله والانسان . فالله صاحب الفعل والأمر ، ولا راد لما يفعله أو لما يريده ، والانسان بعمله وبتوكله على الله جل شأنه يجتاز الأزمات .. ويحصل رزقه فى الحياة : « **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنـات من نخيل وأعنـاب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم ، أفلا يشكرون** » (١) .. فهذه الآيات تضيف عمل الانسان الى ارادة الله فى حصول الانسان على رزقه فى هذه الحياة الدنيا . وليس معهما شىء آخر مما تصوره الكهانة أو الخرافة فى زمن من الأزمنة .

---

(١) يس : ٣٣ ـ ٣٥

● وقد ذكر القرآن الكريم المعوذتين يستعين الانسان بقـراءتهما لدفع القلق النفسى ·· أو لدفع مصادر الشر خارج الانسان فيما يحيط به فى حياته·

أما التوكل على الله فهو سند الانسان المؤمن فى المعاونة على انجاز ما يعزم على انجازه من أعمال · والخرافة ·· والكهانة ·· والصدفة والحظ ·· والتنجيم ·· وضرب الحصى لا مكان لها فى حياة الانسـان مع الله وارادة الانسان نفسه ·

وعلى السائل ان يستعين بالمعوذتين وبالتوكل على الله فى ابعاد التشاؤم عن نفسه · وليعد الى تفاؤله · فالتفاؤل هو ما طلبه الرسول عليه السلام عندما سئل عن الطيرة . وهى مصدر التشاؤم · اذ قال : « أحسنها الفال » ··

★ ★ ★

١٢ـ وسوسة الشيطان :

مواطن بالقاهرة · شاب له من العمر خمس وثلاثون عاما · وهو متزوج وانجب من زيجته ولدين · ويعمل بمهنة حرة ويحمد الله على فضله فى الرزق منها ·

ويروى : انه منذ عام تقريبا توفى صديق له فسار فى جنازته الى أن ودعه الوداع الأخير الى قبره · ولما عاد من تشييع الجنازة عاد الى الله ، بعد أن تذكر الحساب والموت ·· وأقبل على عبادة الله وقراءة القرآن ، وأحس بحلاوة القرآن والايمان ·

ولكن منذ اربعة اشهر الآن ضاق صدره بعض الشىء وأحس أن هناك خاطرا قويا يحاول أن يبعده عن طريق الله · فكان يقاومه وهو لا يدرى : أهذه وسوسة من الشيطان أم أنها النفس الخبيثة ؟ واستمر فى اتجاهه نحو الله ، ولكن يعيش فى صراع مرير وصل الآن درجة يرثى لها من تعب الأعصـاب . والخوف ، والشك فى العبادة · ويأتيه شىء فى المنام غريب كان يتعوذ منه ولا يستطيع أن يحكيه ·

وسأل كثيرا من زملائه عن هذا الشىء الذى يريد أن يبعده عن عبادة الله·· ويخيفه ·· ويثير الشك فى نفسه · ولم يصل الى حل ، ولم يزل يعيش فى صراع داخلى ·· ويطلب النصيحة ، كى يستطيع مسـايرة الحياة ، فى غير ضيق صدر ·· وفى غير ألم نفسى ·

● ان طاعة الله تلزم المؤمن به بسلوك معين هو سلوك الملتزم لما يأمر به الله وينهى عنه · والالتزام يحتاج الى صبر وجهاد نفسى · ومعنى جهـــاد النفس ضبطها فى تنفيذ رغباتها وجعل ما تحققه من رغبات ملائما لأمر الله ونهيه ·

والنفس البشرية بحسب استعدادها قد تميل الى الاستقامة · وعندئذ لا يكون جهادها شاقا · وقد تميل الى الفجور والانحراف عن خط الاســـتقامة · وعندئذ يكون جهادها صعبا · ويلقى صاحبها عنتا : « **ونفس وما ســواها · فالهمها فجورها وتقواها** (أى فأعدها للخروج عن الاستقامة ·· **كما أعدها** للخشية من الله وتجنب الآثام والمعاصى) · **قد افلح من زكاها** (أى قد نجح فى حياته وعند الله من عاون نفسه على الاستقامة) · **وقد خاب من دسـاها** (أى وقد اخفق فى حياته وعنـد الله من تستر على نقائصها ولم يوجههـا التوجيه السليم) » (١) ·· هذا تصور القرآن الكريم للنفس البشرية ، وانها قد تنحرف وقد تستقيم ·

والسائل عندما عاد من جنازة صديقه وزيارته لقبره واتجه الى الله فى عبادته واستمع لآياته فى قرآنه واستراحت نفسه واطمأنت لما كان يسمعه من كتاب الله ، كان واقعا تحت تأثير العبرة الوقتية من الموت · ولكن زحمة الحياة البشرية فى المجتمع وما فيها من مغريات كان يشده اليها · وعندئذ ابتـدأ الصراع النفسى المرير ، الذى يتحدث عنه السائل ، وهو صراع بين طرفين :

الطرف الاول : الالتزام وحمل النفس على مساوقتها فى السلوك لأوامر الله ونواهيه وجهادها فى ضبطها بعيدا عن الانحراف ·

الطرف الثانى : مغريات الحياة البشرية وضغطها على النفوس لحملها على السير فى طريق الشهوات والأهواء ، بعيدا عن أوامر الله ونواهيه ·

وهذا الصراع يخلف نوعين من النفوس · نوع يؤثر الحياة الدنيا ويطغى بمغرياتها ·· ونوع آخر يظل يخشى الله ، ويظل ثابتا صلبا فى جهاده النفسى عن الهوى · ويصور القرآن الكريم هذين النوعين فى قول الله تعالى : « **فأما من طغى · وآثر الحياة الدنيا · فان الجحيم هى المأوى · وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى · فان الجنة هى المأوى** » (٢) ··

---

(١) الشمس : ٧ ـ ١٠ · (٢) النازعات : ٣٧ ـ ٤١

وهكذا الصراع النفسى قائم بين النفوس · وهو يضعف أو يتلاشى عندما تحدد النفس طريقها · وعندئذ اما أن تكون نفسا قوية الارادة والايمان بالله · وفى دائرة ارادتها وايمانها القوى ينتهى الصراع · واما ان تكون ضعيفة تابعة لهواها وشهوتها · وفى دائرة اتباعها للهوى والشهوة تغلب على أمرها وتتلاشى مقاومتها ·

● والسائل يقاوم الآن هواه وشهوته فى صراعه النفسى · ويخشى أن يغلب على أمره ويفلت منه زمام انقياده وينحاز نهائيا الى عبادة غير الله ، وتندثر عنده آثار العبرة التى استخلصها من موت صديقه والمشاركة فى تشييع جنازته الى قبره ·

وعليه الآن أن يستمع الى نداء القرآن الكريم وتصويره لوضع من اتبع هواه فى قوله جل شانه : « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين · ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** » (١) ·

ان السائل فى حاجة الى صبر وتحمل فى مقاومة هواه · فان صبر وتحمل فى ذلك فسيضعف بالتدريج صراعه النفسى ، وتبتعد عنه وساوس الشيطان أو وساوس النفس الامارة بالسوء · كما تبتعد عنه الرؤيا المنامية المزعجة · وعلى الله فليتوكل المؤمنون ·

★ ★ ★

١٣ـ الخروج عن تقاليد المرأة المسلمة :

من احدى الأخوات فى الايمان : باحدى المحافظات ، تتحدث عن ماضيها ··وحاضرها ، ثم تطلب الرأى فى بعض مشاكلها ، فتقول :

انها كانت فتاة متبرجة ، بل وفاسقة · وكانت تصلى ولكنها كانت تنقر الأرض ·· وكانت حياتها كلها لهوا ، وليس فيها أى التزام · ولا تعرف الا القليل من أوامر الله · ولا تنفذها · ولذا تطلق على نفسها : انها فاسقة ·

فى ذاك الوقت تعرفت على شاب وكانت تخرج معه · وتعاهد الاثنان على ألا يترك أحدهما الآخر ، او يتخلى عنه مهما حدث · كما تعاهدا ايضا على

---

(١) الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦

الوفاء والاخلاص وعدم الغدر وقرأ الفاتحة على هذا العهد والتزمت به كما التزم هو به كذلك ٠

واستمر العهد الى أن هداها الله ـ كما تقول ـ واغدق عليها من رحمته ، واراد لها أن تكون من الصالحات ٠ اذ قد عرفت دينها جيدا ، وبدأت تقرأ القرآن وتستمع اليه ، بعد أن كانت لا تريد أن تحمل المصحف بالمرة ٠ وتحمد الله أن قيمت كل ما تفعله ٠ واتضح لها انه كان ضلالا ٠

وعندئذ طلبت من الشاب الذى تعرفت عليه الا يحاول مقابلتها او التحدث اليها فى أى مكان بعد الآن ٠ وحذرته من أن يأتى الى الكلية ، ويلتقى بها فانها ستتجاهله ٠ فرحب بما تقوله ، وسر كثيرا عندما علم منها انها سترتدى الزى الاسلامى معلقا على ما ستفعله بقوله : ان هذا الزى له احترامه، والتى ترتديه لها احترامها ٠ ووافق على أن لا يقابلها مرة أخرى ٠ ولكن طلب منها أن تتذكر العهد الذى بينهما ، ولا تخل به ٠ حتى يأتى ويطلب يدها من أهلها ٠ وذلك عندما يعمل فى مهنته للشهادة التى حصل عليها ٠

ولكن الآن ـ كما تعبر فى رسالتها ـ أصبحت انسانة ملتزمة بتعاليم الله ، وتريد أن تعاشر انسانا ملتزما مثلها ، بينما هذا الشاب كما تراه غير ملتزم ٠٠ وأخلاقه تتنافى مع الدين وتعاليمه ٠ ولذا هى حائرة وتسأل :

هل تقبله وتحاول توجيهه الى طريق الله ؟ أم ترفضه ولا تقبله زوجا لها ؟ وتخشى ان تكون عندئذ ناقضة للعهد وغادرة بما اتفقت معه عليه ؟ كما تخشى ان تعاقب من الله عليه ؟ ٠

وتقول : « انها فعلت الكثير فى حياتها وتريد ان تكفر عن اخطائها الماضية ٠ ولذا لا تريد الآن أن تفعل أى فعل يغضب الله ٠ فهى بحاجة الى رضاء الله ورحمته ومغفرته » ٠

● السائلة تحكم على الشاب الذى تعرفت عليه فيما مضى من حياتها، وتعاهدت معه على أن لا يترك أحدهما الآخر ٠٠ وعلى الوفاء والاخلاص وعدم الغدر ٠٠ تحكم عليه الآن بأن اخلاقه تتنافى مع الدين وتعاليمه ٠ أى أنه لم يزل فى سلوكه وفى علاقته بالآخرين : أثما أو عاصيا وغير مطيع لله ورسوله ٠ فان أى شخص تتنافى اخلاقه ـ والأخلاق هى السلوك ـ مع الدين وتعاليمه : يكون حتما مخالفا لأوامر الله ونواهيه كما جاء بها القرآن الكريم ، أو روتها الأحاديث الصحيحة ٠ ويكفى أن تصف نفسها بأنها كانت فاسقة لنعرف نحن:أن رفيقها فى ذلك الوقت كان رفيق سوء ٠٠ وأن عهدها معه

كان على ضلال ومحرم والعهد الذى يجب الوفاء به هو عهد الله وليس عهد الشيطان · وعهد الله ما كان فى طاعة الله ، وما هو فى طاعة الله يكون لخير المتعاهدين ولخير الآخرين ·· أى لا ينطوى على حرمة او ظلم او اعتداء ·· ولا على ما يغضب الله فى شىء ما · واذ يطلب القرآن الكريم الوفاء بالعهد فى قوله تعالى : « **واوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا** » (١) فانه يطلب العهد المضاف الى الله جل شأنه والذى يرضى عنه الله سبحانه ، كما جاء فى قوله تعالى « **واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم** » (٢) ·· اما عهد الشيطان فهو ذلك العهد الذى دخل فيه الهوى وقام على حل المحرمات · وعهد السائلة مع رفيق السوء هو من هذا النوع الاخير ، كما تعترف هى بانها فى هذا الوقت كانت فاسقة ·· وان اخلاق صديقها تتنافى مع تعاليم الدين ·

وعلى هذا يجب على السائلة ان لا تفكر فيما يسمى بالوفاء بالعهد لانه لغير الله كما انها يجب أن لا تفكر فى انها تستطيع ان توجهه الى طريق الله ، اذا هى قبلته زوجا لها يوما ما · فهو كما يبدو من رسالتها يغير جلده بسهولة · فهو عاش معها فى سوء وضلالة وعندما قالت له انها عادت الى الله وتزيت بالزى الاسلامى اقرها على ما قالته ، واعلن احترامه لها · وهو منافق فى الأولى والثانية ويريد مصلحة خاصة ولا يهمه الوسيلة التى توصله اليها · ومثل هذا الشخص لا يستقيم فى ايمانه ولا فى توجيهه ·

وخير ما تفعله السائلة أن تطرح أمر هذا الصديق جانبا ·· وان تسير فى طريقها الجديد · والله جل شأنه سيعوضها خيرا منه ، طالما اعتمدت عليه سبحانه ، واستقامت فى سلوكها وفى تصرفاتها ·· وسيرضى عنها ·· ويغفر لها ما باشرته من ذنوب ومعاصى ، فيما مضى ·

ان وقتها سيذهب هباء ان هى حاولت علاج هذا الصديق · وان اعصابها سوف لا تحتمل ما يأتى به من صنوف الاغراء والخداع · وان الحرج فى علاقتها بالله سيتحول الى أزمة تحيل سكونها الآن الى قلق واطمئنانها الى صراع نفسى ينهى حياتها ·

★★★

---

(١) الاسراء : ٣٤ · (٢) النحل : ٩١ ·

١٤ ـ الطـاغوت :

عامل باحدى الوزارات ، ومقيم شعائر بأحد المساجد باحدى المحافظات يسأل :

١ ـ ما هو الطـاغوت فى عصرنا حتى نكفر به ؟

٢ ـ ما هى الآلهـة التى تعبد من دون الله ؟

٣ ـ ما هى الأربـاب ؟

٤ ـ ما هو الوثن أو الصنم ٠

● **الطـاغوت :**

نقرأ قول الله تعـالى : « **لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ٠ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئـك أصحاب النار ، هم فيها خالدون** » (١) ٠

فالقرآن الكريم يضع هنا : « الطاغوت » فى مقابل الله سبحانه ٠ والله جل جلاله مصدر الخير ٠٠ والأمان ٠٠ والحماية ٠٠ والقوة ٠٠ والاستقامة للانسان المؤمن به ٠

والطاغوت فى مقابله اذن : مصدر الشر ٠٠ والظلم ٠٠ والاعتداء ٠٠ والشرك بالله ٠ فكل ما ينطوى على شر ، أو ظلم ، أو اعتداء : طاغوت من الطواغيت ٠ فالانسان الشرير ٠ أو الظالم ، أو المعتدى « طاغوت » ٠ والمذهب الهدام المقوض لرسالة الله طاغوت ٠٠ والجماعة المخربة التى تباشر الفحشاء والمنكر وتزينه للناس ، « طاغوت » ٠ والهوى والركون اليه فى تفويت الحق وابعـاده عن صاحبه طاغوت ٠٠ وعبادة غير الله من انسان أو غير انسـان على هذه الأرض « طاغوت » وتأليه الزعماء والحكام فى المجتمعات الانسانية صورة من صور الطاغوت ٠

وهكذا : الخـروج عن خط الاسـتقامة الالهية يدخل فى الطـاغوت ، والانسان عادة يطغى اذا ظن انه استغنى بعصبيته أو بقوته المادية ٠٠ أو بماله أو بصحته وعلمه ، عن مولاه جل جلاله ٠ فيعبد المال والعصبية ولا يعبد

---

(١) البقرة : ٢٥٦ ، ٢٥٧ ٠

الله · ومعنى عبادته للمال والعصبية : أن يجعل اعتماده على أى منهما ، دون أن يعرف الله ويتوكل عليه فيظلم فى سبيل المال ·· ويعيث فى الأرض فسادا عن طريق العصبية ·

والانسان فى حياته مخير بين أن يكون من عباد الله مؤمنا به ·· وبين أن يكون من أنصار الطاغوت ، والظلم ، والفساد ، والعدوان · بين أن يكون من أولياء الله ، أو أولياء الشيطان : « **لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى** » (١) ·

ومن يكون من أولياء الله ـ أى من المؤمنين به ـ يعيش فى نور الهداية ، بعيدا عن الانحراف فى السلوك والاعتقاد · ومن يكفر بالله ويكون من أولياء الطاغوت ـ أى من اتباع الهوى والشهوات ـ يعيش فى ظلمة الأهواء ، ان تصرف أو اعتقد : « **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله** (أى يسعون ويجاهدون فى تحقيق ما جاءت به رسالة الله) » (٢) ·

« **والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت** (أى يسعون ويجاهدون فى سبيل الظلم ، والفساد ، والاعتداء · أى يؤيدون كل مسعى يوصل الى الباطل ونصرة الباغى فى بغيه وعبثه) » (٢) ·

والطاغوت أو الطغيان اذن مرحلة ممكنة فى حياة كل انسان ، يمكن أن يصل اليها اذا خدعته قوته فى المال والرجال ·· أو اغتر واعتز بغير الله ، أو اعتقد أنه اله الأرض يستقل وحده بالسيادة فيها ، على نحو ما تحكى هذه الآية من تصور فرعون عن نفسه :

« **وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى وانى لأظنه من الكاذبين** » (٣) ·

● **الآلهة ·· والأرباب :**

والآلهة جمع اله ·· والأرباب جمع رب · وهم أولئكم الذين يشركون مع الله فى العبادة · هم الذين يشركهم ضعاف الناس فى صفة الألوهية ، مع المولى جل جلاله ·

---

(١) البقرة : ٢٥٦ ·　　(٢) النساء : ٧٦ ·

(٣) القصص : ٣٨ ·

جاءت رسالة الله فى كل مرة ، ومع كل رسول أرسل بالدعوة الى وحدة الألوهية ، حتى نزول القرآن الكريم ٠

« قل أى شىء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بينى وبينكم ، واوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله الهة أخرى ، قل لا أشهد ، قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون » (١) ٠

فقد كلف الرسول محمد عليه الصلاة والسلام باعلان اعتقاده بوحدة الألوهية ٠٠ وببراءته من الشرك ٠٠ أى كلف باعلان أن الله واحد،وهو الكامل كمالا مطلقا فى الوجود ــ وينفى أن يكون هناك فى الوجود شركاء له ٠ وقضية التوحيد فى الألوهية هى جوهر الرسالة اذن ٠ والرسول كان لا يرسل من قبل الله فى أى جيل وفى أى مجتمع الا اذا ساد الشرك بين الزعماء فى المجتمع ٠ وهنا يأتى الوحى برسالة الله على الأرض لاعلان دعوة التوحيد ٠ ودين الوحدة فى الالوهية هو الاسلام ٠٠ والذين يؤمنون بالوحدة هم المسلمون ٠

والايمان بوحدة الالوهية من شأنه جمع الصفوف ٠٠ وجمع الكلمة بين المؤمنين كما من شأنه اضعاف الصراع النفسى الداخلى فى الفرد الواحد بين شهوته وغرائزه من جانب ، وعقله وحكمته من جانب آخر ٠

واذا كانت للانسانية مصلحة فى الايمان بوحدة الألوهية فان للطواغيت والزعماء الذين يؤلهم ضعاف النفوس من أقوامهم فى كل عهد ، مصلحة فى الشرك وبقاء القداسة التى ترفعهم الى صف الآلهة ٠

● الوثن ٠٠ والأصنام :

الوثنية عبادة غير الله ٠٠ والشرك بالله ٠ والأوثان ٠٠ والأصنام ، رموز أو تماثيل تجسد الشركاء لغير الله : « **انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا** » (٢) ٠٠ ويصف القرآن الوثنية والأوثان بالرجس والنجس وينهى عنها ويدخلها فى محيط القول الزور والكذب المختلق : « **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور** » (٣) ٠

والأوثان ٠٠ والوثنية ٠٠ والشرك ٠٠ والالهة ٠٠ والأرباب : مفاهيم تدل على انحراف البشرية عن المسار الصحيح لها فى مجتمع أو فى مجتمعات

---

(١) الأنعام : ١٩ ٠ (٢) العنكبوت : ١٧ ٠

(٣) الحج : ٣٠ ٠

عديدة : فيؤله الضعفاء الأقوياء ·· يستسلمون لهم · ويقبلون الظلم والعدوان منهم ·· ويباركون خطواتهم فى الانحراف والاعتداء ، لا يستطيعون فقدهم فضلا عن مقاومتهم ·

والايمان بوحدة الألوهية : رفع القداسة عن كل موجود ، عدا الله سبحانه ·· عدم الاستسلام الا للكامل المطلق ·· مواجهة الطغيان بالقوة او بالمال او بالجاه والسلطة ·· مقاومة الاعتداء والظلم فى أية صورة من الصور ·

الايمان بالله وحده ، هو منطلق البشرية نحو الحياة الانسانية الكريمة ·

والشرك بالله ·· الهروب فى دروب خوفا من المواجهة واعلان الحق وحده ·

★★★

١٥ ـ الكفر بالله ·· والترف فى الحياة :

مواطن باحدى الضواحى يذكر :

انه كان ذات يوم مع صديق له · ويرى فيه انه مثقف جدا · وهذا الصديق المثقف جدا يكفر بالله ·· ويعتقد أن الدنيا خلقت طبيعيا · ودليله على ذلك :

أن من يصلى ويعبد الله لا يكافئه الله الا بالفقر الدائم ·· وأن معظم الكافرين فى ترف وثراء ونعيم ، وعربدة · ولا يحمدون الله ولا يصلون · وعلى الرغم من ذلك فهم أغنياء ولم يجازهم الله على كفرهم ·

وقد حاولت اقناع صديقى هذا بوجود الله وكلمته عن خلق الشمس والقمر ، والنهار والليل ·· وعن معجزات الأنبياء وعن اعجاز القرآن الكريم ، ولم أفلح ، ولم اقدر على اقناعه لأنى غير مثقف مثله ، ولكنه قال : انه تعبان جدا من هذا الاحساس نحو دينه ونفسيته قلقة لهذا السبب ·

ويرجو السائل فى ختام كتابه أن نتقدم بانقاذ هذا الشخص ورده الى دينه ·

● الشاب الصديق : يقيم تصوره عن الله ، وعن الايمان والكفر به ، على افتراض خاطىء · وهو أن الايمان بالله يستتبعه حتما الثراء فى الدنيا واقبال زينتها ومتعها على المؤمن به ·· بينما الكفر بالله يؤدى حتما الى الفقر والمشقة فى سبيل العيش لمن يكفر ·

وهكذا : الدنيا أشبه بملك خاص توزع منافعه على المحاسيب والأتباع الذين يتحركون لمصلحة المالك ، ويحرم من هذه المنافع من له صلة عداء أو مناوأة به ٠

وما هكذا شان الدنيا فى نظر القرآن ٠ فالدنيا وجدت لتكون مجالا لاختبار المؤمن بالله فى ايمانه ، ولاختبار الكافر فى كفره ٠ فالمؤمن يعطى من متع الدنيا ويحرم من كثير من هذه المتع ٠ والكافر يعطى من متع الدنيا ويحرم من كثير أو قليل منها ٠

والمؤمن الذى يعطى من نعم الله يختبره المولى جل جلاله فى هذه النعم :

هل سيتجه بهذه النعم نحو ما يرضى الله : فينفق من المال فى سبيل الزكاة والخير العام ؟ ٠٠ وفى تنميته للمال سيبتعد فى هذه التنمية عن الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وظلم اليتيم والضعيف من الأطفال والنساء ؟ ٠

هل سيتجه بنعمة الأولاد أن يكونوا قوة فى سبيل الله والايمان به ؟ أم يتجه بهم الى أن يصبحوا قوة فى الفساد والعبث فى الانحراف ؟ ٠

هل سيتجه بالجاه وبالسلطة ـ وهى نعمة من نعم الله على من ولاه الحكم والمسئولية العامة ـ الى صالح المؤمنين وخير البشر عامة ؟ ٠ أم أنه سيتجه بها لاحقاق الباطل ٠٠ والظلم ٠٠ والعدوان على الآخرين ؟

والمؤمن بالله الذى يحرم من متع هذه الحياة الدنيا سيختبره الله بهذا الحرمان : هل سيصبر على الحرمان ويظل على مستوى ايمانه بالله ، أو يزيد هذا المستوى عنده ، أو يقل ؟

والكافر الذى يعطى من نعم الدنيا سيختبر فى هذه النعم ٠ هل سيتمادى فى طغيانه بهذه النعم ؟ هل ستدفعه النعم الى التمادى فى كفره وفى ضلاله ؟ اذ الكافر أصلا هو الذى يتبع هواه ٠ ومن يتبع هواه كان الشيطان قرينه ٠ ومن كان الشيطان قرينه كان الباطل مجال نشاطه ٠

والقرآن الكريم يقيم الدنيا على نحو ما اجملنا هنا ، فى قوله تعالى :

(١) « **من كان يريد العاجلة** (اى يريد متع هذه الحياة الدنيا ٠ وتسمى العاجلة لأنها سابقة على الآخرة) **عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا** (أى فالذى يعمل من أجل الدنيا وحدها ،

ودون ايمان منه بالله ، قد يعطى من متعها · ولكن مصيره أن يلقى فى جهنم ملعونا) » (١) ·

(٢) « **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا** (أى ومن عمل فى دنياه من أجل آخرته فآمن بالله وعمل برسالته لخيره وخير الآخرين ولم يركب هواه فضلا عن أن يطغى به ، ويصبر على الحرمان اذا لم تواته الدنيا فان عمله سيقابل بالشكر وستكون الجنة مصيره فى الآخرة) » (٢) ·

(٣) « **كلا نمد هؤلاء** (من الكافرين) **وهؤلاء** (من المؤمنين) **من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا** (أى على أحد بسبب الايمان أو الكفر) » (٣) ·

(٤) « **انظر كيف فضلنا بعضهم** (وهم الكافرون) **على بعض** (وهم المؤمنون فأعطينا الكافرين أكثر مما أعطيناه للمؤمنين فى الأرزاق) **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** (أى ولكن جزاء الآخرة للمؤمنين يفوق العطاء الدنيوى للكافرين عدة مرات ، وهو فى نوعيته لا يفضله جزاء مادى آخر) » (٤) ·

وفى آية قرآنية أخرى يقول الله جل شأنه :

« **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة** (أى فى الكفر تحت تاثير عطاء الله فى الدنيا للكافرين وحدهم) **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون · ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون · وزخرفا ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين** » (٥) ·

فالدنيا دار ابتلاء واختبار للانسان ، بنعيمها وبمتعها وبزينتها ، وبالأموال والأولاد ، والجاه والسلطة فيها ، وليست دار جزاء ، يعطى فيها المؤمنون ويحرم منها الكافرون · كثيرا ما يقتر على المؤمن فى معيشته ·· وكثيرا ما يدلل الكافر فى حياته بالمال والأولاد ، والجاه ·· الخ ·

---

(١) الاسراء : ١٨ ·
(٢) الاسراء : ١٩ ·
(٣) الاسراء : ٢٠ ·
(٤) الاسراء : ٢١ ·
(٥) الزخرف : ٣٣ ـ ٣٥ ·

والانسان وضع فى هذه الحياة الدنيا ، لا ليمتع بمتعها • ولكن ليسجل تصرفه وسلوكه : أهو انسان يشارك الآخرين معه فى مجتمعه معانى الانسانية وقيمها ؟ •• أهو يحب الآخرين ويتعاون معهم ، ويساعد صاحب الحاجة على سد حاجته ؟ أم هو أنانى يحب نفسه ولو على حساب غيره ؟ • وقوى الايمان بالله هو ذلك الذى لا تغريه متع هذه الحياة فالكثير منها والقليل بالنسبة له سواء •

وعديم الايمان أو ضعيفه هو الذى يلهث وراء هذه المتع • وفى سعيه للحصول عليها لا يعرف صاحب رحم له •• ولا جارا •• ولا صديقا •• لا يعرف الا نفسه فقط ، ومن هنا يقدر المال ولا يقدر المعانى الانسانية •• يقدر الجاه وزخرف الحياة الدنيا ولا يقدر فعل الخير لمحتاج ، أو ضعيف ، أو عاجز ، وربما لو وجد كافرا يستمتع بكثير من متع الدنيا يود أن يكون مثله فى كفره •• وفى حيازته للمتع الدنيوية • وربما يعلن كفره •• ولكن قد لا تواتيه الدنيا ، وصديق السائل هنا من هذا النوع • ندعو له بالهداية •

***

١٦ ـ ارادة الله •• ومسئولية الانسان :

سيدة باحدى المحافظات ـ تطرح خمسة اسئلة وتطلب الاجابة عليها ، ونذكر الآن ثلاثا منها :

السؤال الأول : خلق الله الانسان ، وخلق له السبب والمسبب • فلماذا يحاسبه اذن فى جنة أو فى نار ؟

ولماذا جعله الله فى كبد منذ ولادته وحتى مماته ؟

وفى اى سن يبدأ خطاب « تكليف » الله سبحانه للانسان ؟

السؤال الثانى : وبما أن الرسول عليه السلام يقول « لا رهبانية فى الاسلام » •• لماذا خص الاسلام بالذات بعدم الرهبانية مع انها موجودة فى الأديان الأخرى التى هى أيضا منزلة من عند الله ؟

السؤال الثالث : بما أن الأديان الأخرى المنزلة من عند الله تدعو أيضا الى الهداية وعدم فعل الأشياء التى لا يرضى عنها اى دين فلماذا يقول الله سبحانه وتعالى ايضا فى كتابه العزيز : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (١) ؟ •

---

(١) آل عمران : ٨٥ •

وهل معنى ذلك أن الديانات الأخرى نفيت الى غير رجعة رغم وجود اناس يعتنقونها ؟

● **الاجابة عن السؤال الأول :**

الله سبحانه وتعالى خلق الانسان على وضع خاص ·· خلقه من بدن ، ومن عقل ·· خلقه من بدن تتكفل به الغرائز وهى مصادر الشهوة والهوى فى الانسان ·· وخلقه من عقل يتكفل به سمعه وبصره وادراكه · وجعل بين الطرفين فى تركيب الانسان أو فى طبيعته صراعا خفيا · فبينما الغرائز تدفع الانسان فى غير شعور ؟ اذا بالعقل يحاول وقف اندفاع الغرائز ويحاول توجيهها · والانسان اذن فيه مصدر الحركة ، وهو الغرائز ·· ومصدر القيادة والتوجيه ، وهو العقل او الادراك · وكلما كانت الغرائز قوية كلما كانت مهمة العقل أصعب ·· وكلما كان الصراع بين الطرفين أشد ·

واذا كانت للانسان قيادة ذاتية ، ممثلة فى العقل ، فله ارادة واختيار · والارادة هى الظاهرة المميزة للانسان · والانسان اذن هو صاحب مشيئة ، واختيار ، وارادة · كما هو صاحب حركة ذاتية : يسعى فى الأرض ·· ويتفكر فى خلق السموات والأرض ·· ويختار السبيل الذى يرضاه : « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** » (١) ·

فلله ارادة فى ايمان المؤمن وفى ضلاله ·· وللانسان كذلك اختيار فى ايمانه وفى ضلاله · فأما ارادة الله فهى مساعدة من يهتدى بارادته على انجاز هدايته بأن يشرح صدره للاسلام : « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام** » · وأما ارادة الانسان فهى فى انجازه للهداية على ضوء انشراح صدره من الله لها ·

وأما ارادة الله فى ضلال من يكفر فهى أن يجعل صدره ضيقا حرجا : « **ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء** » · وارادة الكافر لكفره تتمثل فى أن يضيق صدره بما يذكر الله ولا يرى اشعاع هدايته ، فيظل فى ظلام الضلال والحيرة ·

وحساب الله للانسان على كفره أو على هدايته وايمانه لأنه استجاب باختياره للايمان ·· او لأنه لم يستجب أيضا باختياره فظل على كفره وضلاله · فهو له ارادة فى كلتا الحالتين ، بجانب ارادة الله جل شأنه ·

---

(١) الأنعام : ١٢٥ ·

● اما الشق الثانى من السؤال الاول وهو انه : لماذا جعل الله الانسان منذ ولادته فى كبد أى فى مشقة وتعب ؟

فالمشقة التى يعيش فيها الانسان منذ ولادته هى مشقة الصراع النفسى الداخلى بين غرائزه كمصدر للهوى والشهوة ·· وعقله كمصدر للتوجيه حسب رسالة الله وما جاء فيها · وهذا الصراع هو الذى يوزع الناس الى طغاة ·· أو الى ولاة خاشعين : « **فأما من طغى · وآثر الحياة الدنيا · فان الجحيم هى المأوى · وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى · فان الجنة هى المأوى** » (١) ·

مطلوب من الانسان حسب رسالة الله : أن يجاهد نفسه · ومعنى جهاد النفس جهاد الهوى والشهوة · حتى لا يطغى الانسان عن طريق شهوته وهواه · وهنا الانسان من أجل هذا الجهاد فى كبد ومشقة · لأنه ليس من السهل أن يتحكم الانسان فى شهوته فيعف عن الزنا والمنكرات ·· وليس من السهل ان يتحكم فى هواه فيتجنب قتل النفس التى حرم الله قتلها ·· كما يتجنب الظلم والاعتداء على الآخرين · والمشقة اذن التى ولد فيها الانسان ويعيش فيها الى مماته ليست مشقة السعى فى سبيل الرزق · بل هى تلك المشقة النفسية التى يصارع فيها الانسان نفسه الأمارة بالسوء ، والنفس الأمارة بالسوء هى النفس التى يسيطر عليها الهوى وتسيطر عليها الشهوة ·

● **الاجابة عن السؤال الثانى :**

وعن « الرهبانية » وموقف الاسلام منها ، فقد جاء قول الرسول عليه السلام : « لا رهبانية فى الاسلام » والرهبانية هى المبالغة فى العبادة والانقطاع عن النفس « والمعيشة الخشنة ·· والبعد عن النساء · ويروى عن الرسول ﷺ قوله : « ان لبدنك عليك حقا » ·· كما يروى عنه : « من لم يتزوج فليس منى » والقرآن الكريم يشير الى أن دين الله لا يعرف الرهبانية ، فضلا عن أن يدعو اليها · يقول تعالى : « **وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه** (أى اتبعوا المسيح عليه السلام) **رأفة ورحمة ، ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله** (أى لم نفرضها عليهم وانما هم الذين اخترعوها وفرضوها على انفسهم يرجون من تطبيقها رضاء الله) **فما رعوها حق رعايتها** (ولكن كثير منهم لم يؤدها حق الأداء · بل أهملوها ولم يرعوها) ، **فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ، وكثير منهم فاسقون** · (وكان اهمالها سببا فى خروج كثير منهم عن الخط المستقيم · وهكذا لم يؤجر الا القليل منهم ، وهو الذى بقى على ايمانه) » (٢) ·

---

(١) النازعات : ٣٧ ـ ٤١ · (٢) الحديد : ٢٧ ·

والاسلام ليس دين القرآن ورسالة الرسول محمد عليه السلام وحده · وانما الاسلام دين الله · « **ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم** » (١) ·

فكل رسالة من الله على يد رسول أرسل بها الى قومه هى الاسلام ، وهى دين الله · والرسالات قبل القرآن تعرضت للتغيير والتحريف عن طريق بعض الزعماء · فلما جاء القرآن كان الفيصل فيما بقى من رسالة الله لقوم من الأقوام وما تغير أو طرأ عليها يخاطب الله جل جلاله رسوله الصادق الأمين : « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق** (وهو القرآن) **مصدقا لما بين يديه من الكتاب** (أى من الكتب السماوية السابقة) **ومهيمنا عليه** (أى صاحب هيمنة وحجية على ما هو موجود ، من الكتب السماوية وقت نزول القرآن · فالقرآن هو القول الفصل فى شأن دين الله الذى هو الاسلام) **فاحكم بينهم بما انزل الله** ، (وهو الاسلام) **ولا تتبع أهواءهم** (فيما بدل أو غير أو حرف من الزعماء) **عما جاءك من الحق** (وهو القرآن) » (٢) ·

● الاجابة عن السؤال الثالث :

وأصبح مفهوما الآن ان الاسلام هو رسالة الله ، ودين الله على الأرض ، منذ أقدم الرسالات ، منذ ابراهيم عليه السلام وليس هو القرآن وحده : « **ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما** » (٣) ·

كما أصبح مفهوما كذلك : ان القرآن ــ وهو آخر الرسالات السماوية بدين الله الذى هو الاسلام ، كما تقول الآية الكريمة : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (٤) أصبح مفهوما : أن للقرآن هيمنة ، وحجية وكلمة فاصلة بين ماله فى دين الله الذى هو الاسلام ، وبين ما تعرض له دين الله على ممر الأجيال والعصور من تحريف أو تغيير أو تبديل اقتضته المصلحة الخاصة للزعماء الدينيين ·

فالاسلام دين الله فى كل رسالة سماوية · « **قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون** » (٥) ·

---

(١) آل عمران : ١٩ ·
(٢) المائدة : ٤٨ ·
(٣) آل عمران : ٦٧ ·
(٤) المائدة : ٣
(٥) البقرة : ١٣٣ ·

والقرآن هو كتاب الله الذى يرجع اليه المؤمنون بالاسلام ..

« **ومن يبتغ غير الاسلام دينا** (لأنه دين الله) **فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (١) . صدق الله العظيم .

★★★

١٧ـ العقل والقلب ومنزلتهما فى كتاب الله :

مواطن من احدى المحافظات يسأل سؤالين :

السؤال الأول :

فى القرآن الكريم توجد آيات تدل على أن العقل يفكر .. وكذلك القلب يفكر . فما هذه الآيات ؟ .. وما صلة القلب بالعقل من ناحية التفكير ؟ .

السؤال الثانى :

بعض المؤمنين يقولون : ان أولياء الله الصالحين يعلمون ويشعرون بالذى سيحصل من غيب الأمور .

فما رأى الدين فى ذلك ؟ واذا كان صحيحا فارجو توضيح ذلك من خلال الكتاب .. والسنة ؟ .

● **اجابة السؤال الأول :**

يحدد القرآن مكان القلب بأنه فى الصدر . يقول : « **ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** » (٢) .. ويحدد كنهه وذاته بأوصافه ووظائفه :

١ ـ فيجعله مركز الفهم والتعقل ، فيقول : « **ولقد ذرأنا لجهنم** (أعددنا لجهنم) **كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون** » (٣) .. فجعل الانسان يفقه ويفهم بقلبه .

ويقول أيضا : « **أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو**

---

(١) آل عمران : ٨٥ .

(٢) الحج : ٤٦ .

(٣) الأعراف : ١٧٩ .

آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (١) ·· فانه ينسب الى القلوب عمل العقل والفكر ··

٢ ـ ويجعله مركز المسئولية : فيقول : « **ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم** » (٢) وهكذا القلب يأثم ويعصى ، ويطيع وينفذ ·

٣ ـ ويجعله مركز الايمان والكفر ، فيقول : « **من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** » (٣) ·

ويقـول : « **ومن يؤمن بالله يهـد قلبه ، والله بكل شىء عليم** ، (٤) ·· فالقلب مكان الايمان والكفر ·

كما يقول : « **ما جعل الله لرجل من قلبين** (أحدهما للايمان ، والآخر للكفر) **فى جوفه** » (٥) ··

٤ ـ ويجعله مركز الاحساس ، فيقول : « **وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، انه عـزيـز حكيم** » (٦) ·· فالترابط بين المؤمنين هو ترابط الشعور ، والاحساس العميق ·

ويقول « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » (٧) ··

٥ ـ ويجعله مركز الوعى فى الانسان فيقول : « **نزل به الروح الأمين · على قلبك لتكون من المنذرين · بلسان عربى مبين** » (٨) ··

٦ ـ ويجعله مركز الذوق ، فيقول : « **واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنـــون بالآخـــرة ، واذا ذكـــر الذين من دونه اذا هـــم يستبشرون** » ·· (٩) ·· فالقلوب كما تشمئز : تفرح وتستبشر ·

---

(١) الحج : ٤٦ ·
(٢) البقرة : ٢٨٣ ·
(٣) النحل : ١٠٦ ·
(٤) التغابن : ١١ ·
(٥) الأحزاب : ٤ ·
(٦) الأنفال : ٦٣ ·
(٧) آل عمران : ١٥٩ ·
(٨) الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٥ ·
(٩) الزمر : ٤٥ ·

والقلب أخيرا فى نظر القرآن الكريم يمثل بانضمامه الى السمع ، والبصر : الخصائص الانسانية فى الانسان على معنى أن الانسان يتميز عن الحيوان بالقلب مع السمع والبصر . والسمع والبصر هما مدخلا الادراك والتعقل . فيقول الله جل شأنه :

« **أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون** » ؟ (١).
أى ان مثل هذا الذى اتبع هواه وجعل منه الها يعبده ، وأغلق عليه قلبه ، وعطل عليه سمعه وبصره : يستحيل عليه ان يصل الى هداية الله .. وليس هناك فى الوجود ، عدا الله من يمكنه منها . لان منافذ الانسانية لديه سدت جميعها .

وهكذا : يكاد يكون القلب ـ فى تقدير القرآن له ـ أن ينظر اليه على أنه هو المركز الذى تتفرع منه وتنتهى اليه شرايين الانسانية . واذا كان القلب فى نظر الاطباء هو العضلة التى تنظم توزيع الدم حسب حاجات البدن .. فانه فى نظر الاسلام هو مصدر التوجيه والقيادة فى الانسان ، الذى يضله ويهديه .

● **اجابة السؤال الثانى :**

نسب الى الكهان فى مكة ، قبل نزول القرآن ، وتكليف الرسول محمد عليه السلام برسالته : انهم يتلقون علم الغيب مسبقا ـ وهو علم السماء ، أو علم الله جل جلاله ـ من شياطين الجن . وان هؤلاء الشياطين من الجن لا يؤمنون بالبعث كما لا يؤمن الكهان انفسهم وأمثالهم من زعماء الوثنية والشرك : « **وأنهم** (اى شياطين الجن) **ظنوا كما ظننتم** (وهم رجال الانس من المشركين والكهان) **أن لن يبعث الله أحدا** » (٢) ..

ومعنى هذا الادعاء :

● ان هناك من المخلوقات من يطلع على علم الله ، قبل الآخرين منهم .. وان أكثر المخلوقات شرية وكفرا وهم شياطين الجن يسترقون السمع من السماء عند حديث الله مع الملائكة . ومن هنا يتسرب علم الله الى المشركين من الكهان . وشياطين الجن مع الكهان يعلمون أذن مقدما : غيب السماء قبل أتباعهم .

---

(١) الجاثية : ٢٣ . (٢) الجن : ٧ .

وأراد القرآن الكريم ـ فى ختام سورة الجن ـ أن يكذب هذا الادعاء فيقول جل شأنه :

«**عالم الغيب**(أى هو الله عالم الغيب)**فلا يظهر على غيبه أحدا** (أى هو جل جلاله محتفظ بعلمه وحده فلا يطلع عليه أحدا اطلاقا من الجن والانس ·· من المؤمنين ، أو المشركين على السواء) · **الا من ارتضى من رسول** (أى الا فى حالة واحدة · وهى حالة اختياره رسولا) » (١) ·

والرسول على الأرض من الانس ، وليس من الجن أو الملائكة : « **وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا ابعث الله بشرا رسولا · قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** » (٢) ···

وفى حال اختيار الله جل جلاله رسولا من البشر واطلاعه على علمه عن طريق الوحى فانه يحتاط معه بحيث لا يتسرب منه شىء حتى يؤدى رسالته بابلاغها كاملة الى الناس : « **فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا · ليعلم أن قد ابلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا** » (٣) ··

وتكذيب هذا الادعاء معناه : أن الله وحده دون كائن من كان سواه هو الذى يحتفظ بعلم الغيب ·· وهو الذى يختار من يطلعه عليه ·· ومن يختاره يكون من الرسل أصحاب الرسالة ·· والرسل أمناء ومعصومون لا يبلغون شيئا من هذا العلم الا بعد أن يؤذن لهم ·

واذن من عدا الرسل من عباد الله وأوليائه ليست لديهم أهلية لتلقى علم الله واشاعته بين الناس·والمؤمنون جميعا بعد الرسل سواسية فى عدم معرفتهم بعلم الله · والجن شياطينهم والمؤمنون منهم بعيدون كل البعد عن اتصالهم بعلم الغيب ·

وهكذا:الاسلام ان ميز بعض المؤمنين عن بعض فبالتقوى وحدها وليس بعلم الغيب : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير** » (٤) ··

***

---

(١) الجن : ٢٦ ، ٢٧ ·　　(٢) الاسراء : ٩٤ ، ٩٥ ·

(٣) الجن : ٢٧ ، ٢٨ ·　　(٤) الحجرات : ١٣ ·

١٨ـ مجاهدة النفس واجب أولى للمؤمن بالله :

طالب جامعي مسلم ـ من احدى المحافظات ـ يؤدى الصلاة جماعة ، ويؤدى الفرائض الأخرى ، ومتمسك بالسنن ٠٠ ويدعو الى الاسلام بين أهله وجيرانه ومعارفه ٠٠ ولا يدخن ٠٠ ولا يشغل نفسه بسماع الاذاعة ومشاهدة التليفزيون ٠ ومشكلته كما يقول :

انه يسكن فى منطقة كثرت فيها أجهزة التليفزيون ودور السينما ، وله فيها متجر يقف فيه وقت فراغه ويتردد عليه كثير من فتيات الجيران ٠ وهو يغض بصره عنهن ٠ ولكنه يسمع أحاديثهن ويتناولن فيها العلاقة بين الرجل والمرأة بألفاظ تحرك الشهوة عنده وهو واقف بالمتجر وهن أمام منازلهن ٠ ولذا لا يستطيع أن يحول بينهن وبين هذه الأحاديث ٠ وارتكاب الفاحشة فى جو هذه المنطقة لا تحول دونه صعوبة ، كما يقول ٠

وكاثر لهذه الأحاديث فى جو المنطقة يدخل الشيطان نفسه ويحرك شهوته ٠ وخشية من الوقوع فى الزنا يباشر « العادة السرية » بيده من وقت لآخر ٠ وحاول كثيرا أن يمنع هذه العادة ويتوب الى الله ولكنه تحت ضغط هذه الظروف يعود اليها خوفا من الزنا الذى هو أيسر كما يقول من الحصول على الأكل والشرب ٠ وهو لا يستطيع الزواج لأنه فقير وتكلفة بيت الزوجية لا يقدر عليه ٠ كما انه جرب الصوم فكان يغلب على أمره بمباشرة هذه العادة وهو صائم ٠

ويسأل عن حكم مباشرة هذه العادة فى هذه الظروف التى يصفها فى رسالته ؟ وعن العبادات التى يؤديها وهل تعتبر فى حالته هذه تعبيرا عن نفاق؟ وهو فى حيرة من أمره ٠

● مطلوب من المؤمن أن يجاهد نفسه ٠٠ أن يجاهد دون أن تغلب شهوة بطنه أو فرجه عليه ٠ ومجاهدة النفس صراع بين طرفين ؛ بين الشهوة التى تدفع اليها الغريزة ، وبين الهداية التى تدفع اليها رسالة الله ٠ ورسالة الله هنا تدفع الى عدم الاستسلام الى اغراء الشهوة ، سواء أكانت شهوة البطن أو شهوة الفرج ٠

وعبادة الصوم فرضت لتدرب الانسان الصائم على عدم الاستجابة لاغراء الشهوة أيا كان مصدرها ٠ فالصائم فى صومه يصارع ضد شهوته ورغباته : يمسك عنها ، ويحول دون أن يتحقق ميل النفس الى ما تشتهيه ٠

ومجاهدة النفس هى الركيزة الأولى فى الايمان والتدين ٠ ومن لم

يستطع مجاهدة نفسه يظل ايمانه على هامش حياته ، كما يكون تدينه شـــكلا لا جوهر له ٠

وكلمـا كان الجـو الذى يعيش فيه المؤمن مليئا بالمغريات ، وميسرا للانسان فيه ارتكاب الفاحشة أو المنكر ، كلما كان جهاد النفس شاقا ، وكلما كان ثوابه عند الله أعظم ٠

جهاد النفس لا يعرف التراخى ، ولا يعرف الحل الوسط ، ولا يعرف التأجيل ٠ فمن يريد مثلا أن يجاهد نفسه ضد منكر ما ، أو ضد فاحشـــة ، فعليه أن يمسك من فوره عنها ، وأن يعمل على ازالتها لو كانت بين يديه ٠ فمن تعود التدخين ويريد أن يجاهد نفسه ضده فعليه فى الحال أن يتخلص مما معه بصورة نهائية ٠ ومن تعود شرب الخمر وأراد أن ينتهى عن الشراب ويجاهد نفسه ضده ، عليه أن يسكب على الارض فى غير ارجاء ما يكون لديه منه ٠ وهكذا فى مباشرة العادة السرية ٠٠ أو فى مباشرة فاحشة الزنا يحزم أمر نفسه بارادته القوية فى الامتناع عن مباشرة أى منهما ، ولو كانت النفس قد تهيأت للمباشرة بالفعل ، ولو كانت الظروف قائمة لتنفيذ المباشرة ٠

ومن يرجىء الامتناع والامساك عن المنكر او الفاحشة الى وقت آخر مســـتقبلا ، حتى يتيح لنفسه استغلال الفرصة العاجلة بين يديه ، لا يكون وضعه وضع من يجاهد نفسه ٠ بل يكون وضعه وضع المؤرجح أو المتقلب ، والمتردد ٠ من يقول انى سأمتنع وسأنتهى من هذا المنكر او ذاك ، أو من هذه الفاحشة أو تلك ، غدا أو بعد غد حتى أكون قد فرغت مما لدى أو حتى أكون قد أعددت نفسى وهيأتها نحو الحرمان والامساك عن المنكر أو الفاحشة ٠٠ من يقول ذلك تنقصه الجدية ، وينقصه العزم ، وينقصه الايمان القوى ٠ومثله مثل من يباشر المنكر ثم يتوب ويستغفر الله ٠٠ ثم يعود لمباشرته ، ثم يتوب ويستغفر الله ٠٠ وهكذا ٠

جهاد النفس عزم وتصميم على الامساك والحرمان مما تشتهيه النفس الأمارة بالسوء ٠ والذى يجاهد نفسه يعلم ما فى بيئته من مغريات ومفاتن ، كما يدرك فى نفسه قوة العزم على المقاومة ٠٠ ثم ينتهى الى قبـول التحدى للمغريات والمفاتن ٠ واصراره على المقـــاومة هو عادل نجاحه ٠ فاذا كان ارتكاب المنكر أو الفاحشة عادة له ، فستضعف هذه العادة تدريجيا ، وتحل بدلا منها عادة أخرى بحكم اصراره ، تساعده على الامساك ٠ وهى عـــادة الحرمان والمقاومة لما تشتهيه النفس عن طريق البطن أو الفرج ٠

واذن جهاد النفس لابد أن يكون عادات لدى من يجاهد نفسه ، بـدلا من تلك العادات التى كونتها مباشرة المنكر والفاحشة ٠ فاذا لم يكون عادات

على الضد من العادات السابقة فهو جهاد خادع ·· اذا لم يمتنع عن الشراب ··اذا لم يمتنع عن الوشاية والنميمة ·· اذا لم يمتنع عن الكذب والضلال ·· اذا لم يمتنع عن السرقة ·· اذا لم يمتنع عن فاحشة الزنا ·· اذا لم يمتنع عن عادة الاستمناء : فما يدعيه من جهاد للنفس غير صادق ·

وتكوين العادات الجديدة وهى التى تأتى نتيجة للاصرار على الحرمان والامساك ضد الموبقات : ستساعد من يجاهد نفسه على الاستمرار فى المجاهدة : فى يسر،فى غير ضيق ·· ستزيد عنده المقاومة بحيث يكون أمرها غير شعورى ·· بحيث يكون أمرها سهلا لا يحتاج الى عناء ·

● وهل السائل فى هذه الرسالة جاهد نفسه بحيث كان جهاده صادقا ·· الظاهر من مباشرته العادة السرية المرة بعد الأخرى ، ثم بعد كل مرة يعلن توبته ، ورغما عن اعلان توبته يعود الى الممارسة من جديد : الظاهر من ذلك انه لم يجاهد النفس ضد هواها ، ولم يقف فى عزم وتصميم ضد المغريات التى تحيط به كما يقول · وتدينه مظهر لم يصل الى عمق نفسه بعد ·

ونحن لا نقول له : ان ما تباشره من العادة السرية هو حل مؤقت لأزمتك النفسية ضد الوقوع فى ارتكاب فاحشة الزنا الذى هو أمر ميسور كما تقول الرسالة · وانما نقول له : باشر جهاد النفس · وهو أمر مطلوب ومفروض على كل مؤمن برسالة الله · ومباشرته أولا مقدمة ضرورية لتقييم عمل المؤمن بعد ذلك ·· وتقييم ما يقدم عليه فى حياته ·

ان جهاد النفس شاق · ولكنه السبيل الأول الى تحويل الايمان بالله الى عمل صالح · ليست هناك انفصالية بين الايمان بالله ، والعمل الصالح الا فى نفس الضعيف الذى ينطق بشهادة : أن لا اله الا الله ـ وأن محمدا رسول الله، ثم يسير فى عمله حسبما تدفعه هواجس النفس وتملى عليه الأهواء والشهوات ·

وربما يرى بعض الفقهاء ، ان مباشرة العادة السرية فى الظروف التى يذكرها الشاب الجامعى فى رسالته لا تدخل فى نطاق المحرم شرعا ، دفعا للوقوع فى الزنا · لكن الفتوى بذلك تدخل التراخى فى مجاهدة النفس ، الامر الذى يحول دون أن تتحقق هذه المجاهدة يوما ما وتؤتى ثمرها ، كما هو مرجو لها ·

وبعد ذلك : هل مباشرة العادة السرية تؤثر تأثيرا سلبيا على الوظائف العضوية للبدن ؟ الكلمة فى ذلك لأصحاب الاختصاص ، وهم الأطباء ·

★★★

١٩ـ عبادة الله على حرف :

آنسة بائسة معذبة باحدى القرى ٠٠ تشكو حظها السيىء فى الحياة ، رغم أنها تصلى وتصوم الفروض والنوافل منذ كان سنها خمسة عشر عاما ، وهى الآن فى الثالثة والعشرين ٠

وتقول : ان حالتها كانت عادية ، وكانت سـعيدة بما تتقـرب به الى الله من عبادات ٠ ولكن ابتدأت تتغير منذ أن تزوجت أخت لها وهى تصغرها بثمانى سنوات : « فيئست من حياتى ولم اتذوق سوى المر والهوان ، بسبب كلام الناس ٠ فقاطعت الصلاة والصوم لمدة شهر ٠ ولكن سرعان ما رجعت لعقلى وأؤدى الفرائض كما كنت أفعل » ٠

ثم تقـدم لخطبتها شاب ، ولم يكن يعـرفها ، حتى اذا رآها استقبح شـكلها ورفض أن يتزوجهـا ٠ وأعلن « أنها وحشة » ٠ وهنا اقسمت على المصحف بأن لا تتذوق الطعام والشراب لمدة عشرين يوما حتى تتخلص من حياتها ٠ ولكنها اضربت لمدة يومين فقط ولم تستطع أزيد من ذلك وتسأل عن كفارة هذا اليمين ٠

وتعود مرة أخـرى لتسـأل : لماذا خلق الله سبحانه أخواتها البنات ـ وهن ثمان ـ جميلات وهى قبيحة الشكل ؟ ٠ مع العلم بانهن جميعا لا يؤدين فريضة الصلاة والصوم ٠ وأن أعمارهن تتراوح ما بين اثنتى عشرة وسبع وعشرين ٠ لماذا هى تعسة ؟ ولماذا هن محظوظات ؟ ما السر فى هذا ؟ ٠

● السائلة يئست من الحياة مرة عنـدما تزوجت أختها الصغرى ٠ وانقطعت عن الصلاة والصوم ، ربما باعتبار ان العبادة لم تحقق لها هدفها فى الحياة ٠ وحاولت مرة أخرى الانتحار بالاضراب عن الطعام والشراب ، عندما رفضت خطبتها واستقبح شكلها ٠

وتنعى حظها فى الحياة لانها لم تكن جميلة المنظـر كأخواتها الثمان ٠٠ ولأن : عبـادتها لله سبحانه لم تكن ذا عوض لها ، فتبلغهـا هـدفها من الزواج ٠

الزواج فى حياة البنت المسلمة فى مجتمعاتنا المعاصرة هـدف رئيسى لها ، تسعى اليه سعيا مباشرا أو غير مباشر ٠ فان مارست التعليم والتحقت بكليات الجامعة ٠٠٠ وان مارست العمل خارج المنزل واختلطت بغير المحارم ، فلكى تحقق هدفها الاول من الزواج ٠

البنت المسلمة من تقاليدها أن تحافظ على عفتها ، وان تعتز بأنها عذراء عند ما تزف الى زوجها · واحتمالها فترة المراهقة بعيدة عن العلاقة الجنسية يجعلها متطلعة الى الزواج على انه هـدف أصيل فى حياتها ، تنسج حوله أمانيها ، وتعظم شأنه ، بحيث يصبح مصدر خيالها الذى رسمه مستقبلها ·

وبموقف السائلة من الانقطاع عن العبادة عندما تزوجت أختها ·· ومن محاولتها الانتحار عندما رفضت خطبتها ·· ومن تساؤلها عن السر فى أن اخواتها محظوظات ، عداها هى ، يحس القارىء لرسالتها : انها تعبد الله على حرف أى تعبده غير متمكنة من عبادتها ·· أى تعبده ليس لغاية العبادة فى ذاتها ، وانمـا لترقب منفعة أو لدفع ضرر عنها · فهى ربمـا ترجـو من عبادتها هنا : أن يعوضها الله بها عن جمال الخلقة فيوفقها لزوج يسـعدها كما يوفق اخواتها بسبب جمالهن لأزواج يحملون مسئولياتهن فى الحياة ·

وقد جاء فى كتاب الله فيمن يعبد الله على حرف ، قوله : « **ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصـابه خير اطمأن به ، وان أصـابته فتنة** (أى ما يفتن ويبتلى به من أحداث الحياة) **انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخـرة** (أما أنه خسر الدنيا فلأنه لم يصـل الى المنفعة التى يترقبها من عبادته ، وأما أنه خسر الآخرة فلأن عبادته لم تكن لله وانما كانت للشـيطان) ، **ذلك هو الخسران المبين** » (١) ·

فهـذه السائلة انقلبت على وجهها فانقطعت عن الصـلاة والصـوم ، وحاولت الانتحار ـ وهو يأس من رحمة الله ـ وتحاول أن تعرف سر الله فى أن خلقها قبيحة الشكل ، دون اخواتها · وهذا ينطوى على الاعتراض على خلق الله ·

● ان العبـادة لله يجب أن تكون خالصة للمولى جل جـلاله · فهى ليست تجارة ولا وسيلة لمصلحة شخصية · ولا ينبغى أن يتغنى بها الانسان ، ولا يمن بهـا على الله سـبحانه · فاداؤها ان كان لمصـلحة فلمصـلحة من يؤديهـا · وهو أن يكون صاحب استقامة فى سـلوكه ، وصاحب مشـاركة ومعاونة فى معاملاته ·

● وعلى أية حال فلا اعتراض على قدر الله ، عندما خلق السائلة ـ كما تقول ـ قبيحة الشكل ، بينما خلق اخواتها الثمان جميلات المنظر · اذ ربمـا قبح الشكل يتحمله من خلقه الله قبيحا فى وجهه ، ولا يتحمـل مرضا

---

(١) الحج : ١١ ·

يعذبه ولا يبرأ منه الا بالموت · فلو ابتليت السائلة بمثل هذا المرض لما تزوجها أحد ·· ولما تمنت أن تكون على قيد الحياة لحظتين معا ·

السائلة لا تدرى جانب الخير فى قدر الله لها · وانما الايام ستكشفه · وكلما صبرت ·· وكلما استسلمت لقضاء الله كلما اطمأنت نفسها وكلما ظهر لها اليسر بعد العسر ·· وكلما انفرجت ازمتها النفسية وحلت عقدتها فى الزواج ·

والناس ليسوا أصحاب ذوق واحد ولا تقدير واحد · فبجانب من ينفر منها لقبح شكلها كما تدعى ، هناك من يقبل عليها فى راحة نفسية لانه يقدر فيها شيئا اخر غير جمال الوجه : يقدر فيها عذوبة الصوت ·· يقدر فيها الحكمة فى الراى ·· يقدر فيها قوام البدن ·· يقدر فيها جانب العطف والرحمة ·· يقدر فيها حنان الام المقبلة ·· يقدر فيها الاستعداد للمشاركة فى الحياة ، خيرها وشرها على السواء ·

وجمال الوجه ليس كل شىء · فقد تكون صاحبة الوجه الجميل من أقبح خلق الله فى مخبرها ·· وفى سلوكها ·· وفى معاملتها ·· وفى نظرتها للحياة · وقد تكون انانية فى طباعها ·· ومزعجة فى عاداتها ·· وعندئذ لا تصلح زوجة ·· وعندئذ يتحول جمال الوجه الى امر كريه المنظر لمن يعاشر صاحبته ·

والله سبحانه قد اعطى حتما صاحبة الوجه القبيح نعمة فأكثر من نعمه التى تجذب القبول لها والسعى للتقرب منها · والسائلة عليها أن تفتش فى نعم الله عليها ، فستجد جملة منها تعوض قبح الشكل وتجعلها مطمئنة الى مستقبل سعيد لها بالزوج ·· وبالولد معا ·

★★★

٢٠ـ الزوجة مكلفة كالزوج بأداء العبادات وتركها أداء الصلاة كفيل بنشازها :

مواطن باحدى المحافظات ، يعرض قصة علاقته مع زوجته ، ويستطلع الراى فيها ، فيقول :

تزوجت انسانة أظهرت لى أنها متدينة ، منذ أن تقدمت لخطبتها · وقد سررت بتدينها فعلا ، وأحست هى بهذا السرور فى نفسى ·

وبعد الدخول بها بعدة أشهر اكتشفت أنها لا تصلى · وعندئذ تغير كل شيء فى معاملتى لها : فنصحتها ·· وضربتها ·· وهجرتها فى الفراش ·· وأخيرا عرضت شأنها على حكمين من أهلى وأهلها · وكل ذلك ان نقل اليها غضبى فلم يخفف من اصرارها على ترك الصلاة ·

والآن أنجبت منها طفلا · وأخشى أن أنجب منها أطفالا آخرين · لأن علاقتى بها غير مستقرة · ولذلك طال هجرى لها ·

(أ) فهل للهجر مدة محدودة ؟

(ب) وما حكم الاسلام اذا تركتها فى البيت ، وهى تاركة للصلاة ؟

(جـ) وهل اذا طلقتها أكون آثما ؟

● ان تدين الزوجة أمارة من غير شك على صلاحيتها كزوجة ·· وكأم مسئولة عن أهل الزوج ·· وكأمينة على نفسها ، وعلى غيبة زوجها · وأداء الصلاة هو عنوان على هذا التدين · فهو يطمئن الزوج · ويحقق السكن والاستقرار له ولأسرته · ويمكنه عندئذ من الانطلاق فى نشاطه دون أن ينظر الى الوراء ، ويجمده الشك فى علاقة زوجته به ·

والحديث الشريف الذى يعلن مسئولية الرجل عن أهل بيته ، يضمن هذه المسئولية نصح الزوج لزوجته : أن تستمر فى أداء العبادات وتحافظ على الصلاة فى أوقاتها · والقوامة التى يأمر بها القرآن ليست فقط قوامة انفاق عليها ، وحماية لها ، ورعاية لشئونها · وانما أيضا قيادة لها فى أداء ما يجب عليها أداؤه من عبادات ، بقدوته الحسنة ، وبالحكمة فى نصحه اياها ·

فهنا واجب على الزوج بحكم قوامته ومسئوليته · وهو ليس متطفلا ولا يتجاوز حد مسئوليته عن أهله ، ان هو نصح الزوجة بأداء الصلاة ، عندما يلاحظ عليها انها لا تؤديها ·

واصرار الزوج على أداء زوجته لعبادة الصلاة ـ كما يصرح بذلك السائل هنا ـ هو أمر مطالب به أمام الله سبحانه وتعالى · وله أن يعتبر عدم أداء الزوجة للصلاة ، بعد أمره اياها بالأداء : نشوزا يبيح له شرعا أن يسلك سبيلا من السبل التى تعبر عن غضبه منها وعدم رضاه عن العلاقة القائمة بينهما · وفعلا قد سلك السائل جميع السبل المشروعة : من النصح ·· الى الهجر ·· الى الضرب ·· الى التحكيم · ولم يفلح واحد منها ، ولم تفلح كذلك جميعها فى اثناء الزوجة عن اصرارها على ترك الصلاة ·

● **والسؤال الآن :** هل اصرارها على ترك الصلاة يدل منها على انكارها لها وعدم ايمانها بأدائها ؟ أم هذا الاصرار يعود الى عناد منها ·· وبالتالى الى عدم رغبتها فى استمرار الحياة مع زوجها ؟ ·

لا اظن أن زوجة السائل لا تؤمن بالصلاة كعبادة تتقرب بها الى الله · وانما اصرارها على تركها للصلاة هو اصرار على عدم الاستجابة لمطلب الزوج منها · فهى تعاند الزوج دون أن تسعى الى غضب الله ، بالاستمرار على ترك الصلاة ·

وهنا يمكن أن يقال : ان الزوج لا يملأ فراغ النفس عند زوجته · ولذا لا تطيعه · فهناك شىء بينهما خاب أملها فيه · فقد كانت قبل الدخول به تستجلب رضاه باعلانها عن أداء الصلاة · وكان يسر منها لذلك · فلما دخلت به ودخل بها وانكشفت لها أسرار العلاقة بينهما لم تعد تحرص على رضاه · وهنا ظهر عدم رضاها فى عنادها فى تركها الصلاة · والصلاة اذن ليست مقصودة لذاتها وانما المقصود عدم استجابتها لتحقيق رغباته منها ·

انهازوجة لم يمض على زواجها بالسائل هنا فترة طويلة·أى انها لمتزل فى فترة الذكريات · وهى فترة عزيزة على الزوجة بوجه خاص · فكيف يتكرر نصحه لها ·· ويهجرها فى المعاشرة الى أجل غير قريب ·· ويضربها وان لم يكن ضربا مبرحا ، ولكنه أمر ينم عن غضبه منها ·· ثم يحيل العلاقة بينهما الى التحكيم ومع ذلك لا تستجيب لطلبه منها : أداء الصلاة ·

ان الفجوة فيما يبدو فى العلاقة بين الزوجين فجوة واسعة ، لا يزيلها الهجر مهما طالت مدته ·· ولا تركها فى المنزل وشأنها تؤدى الصلاة أو لا تؤديها على سواء ·· وانها فجوة الكراهية من جانب الزوجة · والأمر بينهما لا يحتمل سوى الفرقة · والفرقة آخر حل لدفع الضرر عن المتضرر من الزوجين · كما جاء فى قول القرآن الكريم ، بعد فشل التحكيم والصلح بينهما : «**وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما**» ··(١)·

وقبل الطلاق يجب أن يراجع الزوج علاقته مع زوجته : أى شىء فى هذه العلاقة من جانبه يغضب زوجته ، ويجعلها تصر على عناده ؟

أهو فى سلوكه معها ؟

أهو فى حديثه ولجاجته فى الحديث ·

---

(١) النساء : ١٣٠

أهو يتعلق بنظافته ؟ أهو فى عاداته فى الأكل ، والشرب والنوم ؟ ·· أهو فى التعبير عن مودته وحبه لها ؟

فان كان هناك مالا ترضى عنه الزوجة فليحاول أن يغيره · فان غيره ولم تعد الزوجة الى العلاقة الطبيعية معه فالطـــلاق ضرورة لا مفر منها · وعندئذ لا يكون متحملا اثما عندما يطلقها ·

● وهجر الزوج لزوجته فى المعاشرة ليس مؤقتا بمدة معلومة · وانما توقيته فقط بمقف الزوجة نفسها : « **فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** » **(١)** ··فما جاء هنا فى الآية الكريمة هو تعقيب على الوسائل الذى يقترحها القرآن الكريم على الزوج عند خشيته من نشوزها · وقد جاءت هذه الوسائل فى قول الله تعالى : « **واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضـــاجع واضربوهن** » **(٢)** ·· ومعنى هذا التعقيب : أنه اذا عادت العلاقة بين الزوجين الى طبيعتها فليست هناك حاجة الى سلوك واحد من هذه السبل مع الزوجة· وانما كل شىء فى العلاقة يرد الى المعروف بينهما ·

★★★

٢١ـ بعد عقد القران :

تسأل سيدتان من احدى المحافظات ، عن نوع العلاقة بين الخطيبة ·· وخطيبها ، بعد عقد القران بينهما ، وقبل الزفاف اليه : أهى علاقة تســـمح للخطيب بما يسمح به الزواج للزوج من زوجته : أى هل تسمح له بأن يقبلها ··وبأن يختلى بهـــا من غير محـــرم لهـــا ·· وبأن يعـاشرها معـاشرة زوجية ·· الخ ؟ ·

● العلاقة بين الرجل والمرأة فى الزواج تمر بمراحل ثلاث :

● **المرحلة الأولى :** مرحلة الخطبة · وفى هذه المرحلة يجوز للرجل، كما يجوز للمرأة : أن يرى كل من الآخر فى نطاق الرؤية الشرعية ·· وأن يســـمع كل منهما لصـــوت الآخر ، ولحديثه ·· وأن يقف كل على منطقه وتفكيره ، بما يكون لديه من الامارات ما يرجح قبول كل واحد منهما للآخر · ونطاق الرؤية الشرعية هو نطاق الوجه والكفين من المرأة ·· ونطاق وجـود المحرم للمرأة : عند الرؤية والحديث ·

---

(١) النساء : ٣٤ (٢) النساء : ٣٤

● **المرحلة الثانية :** مرحلة ما بعد عقد القران ، وقبل الدخول بها عرفا · وفى هذه المرحلة يجوز للاثنين ما يجوز للزوج مع زوجته المدخول بها : من تقبيل ·· وخلوة من غير محرم ·· ومعاشرة زوجية · لأن عقد القران يضفى شرعية الزوجية على العقد بينهما ·· ويحل لهما الآن ما يجوز منهما قبل عقده · فاذا عاشر الزوج زوجته فى هذه المرحلة ونشأت بينهما علاقة جنسية فقد دخل بها · والزوجة عندئذ مدخول بها شرعا ، يحل لها المهر كله لو طلقت بعد ذلك ، فرضا ·

● **المرحلة الثالثة :** مرحلة ما بعد الدخول بها عرفا · فى هذه المرحلة يعرف الناس : ·· الاقارب ، والجيران : ان الزوجة زفت الى زوجها ، وأصبحت مدخولا بها · ولا يسأل أحد منهم بعد ذلك عن مظاهر الوضع الجديد : من السكنى معا ·· ومن الخروج فى صحبة كل منهما للآخر ·· ومن كون الزوجة حاملا ·· ومن كون لهما ولد أو أولاد ·

والفرق بين هذه المرحلة والسابقة عليها : ان الزوجين يمارسان علاقة الزوجية فى المرحلة السابقة فى شبه سرية ·· بينما هما يمارسانها فى المرحلة الثالثة فى صراحة وفى علن لكل من يعرفهما ·

والعلن فى المرحلة الثالثة جاء مما يسمى « بالزفة » ·· أو « بالدخلة » ·· . والاسلام يشجع العلن فى الزوجية ، حتى يكون نسب الأولاد واضحا لكل من يعرف الزوجين ·· وحتى تكون العلاقة بينهما على أساس من كتاب الله وسنة رسوله واضحة كذلك ، فلا يتقول قائل عليهما ·· ولا يسأل سائل عما طرأ عليهما من تغيير لوضعهما السابق ·

وفى الواقع من الناحية العملية فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، بعد عقد القران بينهما : لا فرق فيما قبل « الدخلة » ·· أو فيما بعدها : فى الحل ·· والحرمة ، وفيما يجوز ·· وفيما لا يجوز · فعقد القران يقرب بينهما كزوج وكزوجة ·

● والسيدتان السائلتان هنا تسألان فقط عن العرف فيما يسمى « بالدخلة » ··· فالزوجة بعد العقد يقضى العرف أن توفر نفسها فيما يتصل بعلاقة زوجها بها ، الى أن تزف ·· اليه · وليلة الزفاف هى ليلة الفرحة الكبرى بالنسبة للزوجين ، وبالأخص بالنسبة للزوجة ·

«فالعرف» وحده هو الذى يجعل المرأة تصر على أن تكون لزوجها ابتداء من ليلة الزفاف ·· وليس قبلها · وحكم الله : ان المرأة لزوجها منذ عقد قرانها ·

واتباع هذا العرف يقى المرأة كثيرا من الهموم أو الأضرار · فباتباعه كأنها تشهد الآخرين على تكوين أسرتها الجديدة · فقد ولدت الأسرة فى ضوء ·· وتعيش كذلك فى ضوء · وباتباعه أيضا قد تعطى لنفسها الفرصة فى التعرف على زوجها أكثر ·· فأكثر · تعرف من عاداته ·· ومن أسلوب حياته ومعيشته ·· ومن تفكيره ·· ومن قبضه للمال وبسطه له : مدى ما يمكنها من الملاءمة بين ماله ومالها ، من عادات ، وأسلوب فى الحياة ، ·· والمنطق· وهى فرصة تختلف عن فرصة الخطبة ·· وكذلك عن فرصة ما بعد الدخول بها · فهى مثلا الآن تحس بارتفاع الحرج فى سؤال زوجها عن أمور ، تحرج كثيرا ان هى سألت عنها فى فترة الخطوبة ·· أو ان هى ناقشتها بعد الدخلة بها · فصدر الزوج الآن مفتوح لها ولأمانيها · وقلما يعقب بما يغضبها ان هى تمنت أكثر من الطاقة المتاحة له · ولذا هى تعرض الكثير من الأمانى ، التى يقوم معظمها على خيال أو رغبات بعيدة المدى ·

والزوج ـ كما تستفيد الزوجة بالفترة التى هى بين ·· بين ـ يجب عليه أن يستفيد بها أيضا فى ترتيب منزله وأسرته مستقبلا ·· وفى تحديد السبيل الذى يسلكه مع زوجته ·

وربما تعتبر الفترة التى بين الخطبة ·· والدخلة ، بعد عقد القران : هى امتع الفترات فى حياة الزوجين · وربما العرف الجارى ـ وهو اصرار المرأة على أن لا تعطى نفسها عطاء كاملا الا ليلة الزفاف ـ يزيد من متعة هذه الفترة للزوجين معا · وليست هناك فترة فى حياة الزوجين يتلهف فيها كل منهما على الآخر : فى لقائه ·· وفى لحديث اليه ، سـوى هذه الفترة · والأمر الذى يقلل من متعة هذه الفترة : أن تستجيب المرأة لمطلوب الرجل · أو ربما تصبح بعد ذلك عادية أو غير مرغوب كثيرا فيها · كما كان الوضع أول الامر · وبالأخص اذا طالت الفترة بعد عقد القران ·· الى الزفاف ·

والخلاصة : انه ليس بحرام أن يتصل الرجل بالمرأة بعد عقد القران كما يتصل الزوج بزوجته المدخول بها · فبما الآن زوجان · ولكن الانتظار الى ليلة الزفاف ينطوى على مميزات نفسية قلما تواتى أى واحد من الزوجين ·

***

٢٢ ـ ارادة المرأة فى الزواج أمر يوليه الاسلام عنايته :

رسالتان من طالبتين : احداهما فى الصف الثانوى باحدى المحافظات والثانية فى الشهادة الاعدادية تشكوان من وضع واحد ، وهو:

ان كلتاهما خطبت لقريب لها يكبرها بسنوات عديدة ، ولا تحبه ·· وأن كلتاهما أيضا حاولت عدة مرات أن ترد خطيبها وتفهمه : أنها لا تحبه · ومع ذلك يصر الخطيب على الزواج منها رغم أنها كارهة له ، وازاء اصرار كل منهما على الزواج من قريبته ، رغم كرهها له ، فان الفتاة هنا وهناك تحاول الانتحار · ولم تشفع المحاولات التى تتجه بها أية منهما الى الأقارب لتخليصها من الكرب والهموم التى ستقع فيها ، وتسأل كلتاهما : عن الحل الى يبعدها عن الهاوية ؟ ·

● ان المشكلة عند الطالبتين السائلتين هنا ، ليست مشكلة الرأى فى الفقه الاسلامى : فالفقه صريح فى أن البكر لا يعقد عليها الا اذا أخذ اذنها وأذنت · ويكفى فى اذنها : أن تسكت عندما تسئل · وبعض الفقهاء يوجب على وليها فى العقد : أن ينبهها ثلاث مرات بقوله : ان رضيتى فاسكتى · وان كرهتى فانطقى · وعندئذ اذا استؤذنت وسكتت يتأكد أن سكوتها موافقة منها على العقد ·

ويروى عن ابن عباس رضى الله عنه : « ان جارية بكرا أتت رسول الله فذكرت أن اباها زوجها وهى كارهة ، فخيرها النبى ﷺ » ·

ويكاد يكون الاتفاق على :

(١) أن الثيب لابد أن تصرح برضاها عند عقد الزواج ·

(٢) وأن البكر لو زوجت بغير اذنها لا يصح عقد زواجها ·

وما يقوله الفقه الاسلامى هنا يمثل منطق الطبيعة الانسانية · ومنطق هذه الطبيعة يؤثر : أن يكون الانسان ملتزما ، وليس ملزما ·· أن يكون مختارا ، وليس مكرها · فالايمان لا يكره الانسان عليه · والعقد فى المعاملات ، وفى الزواج كذلك : لا يكره عليه أى من الطرفين · لأن الاكراه يكون عقبة فى التنفيذ فى أولى مراحله · وهى عقبة نفسية تستتبع بعدها عقبات أخرى مادية ·

ان الاسلام يقدر المشيئة فى الانسان : يقدرها فى قيمة ما يقوم عليها ·· ويقدرها فى انجاز ما ترتبط به · فالمرأة اذا أبدت رأيها فيمن سيكون زوجا لها : تدخل الحياة الزوجية معه وهى مقبلة عليه ·· وعلى استعداد نفسى لأن تزيل جميع الحواجز من طريقه وتهيىء الأسباب لنجاحه · اما اذا أكرهت على زوج معين فقد تحاول أن تصطنع من العقبات ما يجعله مجالا للخصومة ، والكراهية ، والنفرة · وبدلا من أن يكون سبيلا للسكنى والمودة والرحمة :

يصبح طريقا الى العداء · وبذلك يشكل مصدرا للهمرم والأحزان ، بالاضافة الى ما تدفع به الحياة ذاتها بسبب الأثرة والأنانية : من قلق للنفوس ، وظلم لغير الجانين ·

والمشكلة هى مشكلة أسرية أو اجتماعية فى الدرجة الأولى · الوالدان يتصوران : أن لهما الحق المطلق فى اختيار الزوج لابنتهما ، ولو وقع على غير رغبة منها · والاقارب يرون : أن لهم الأفضلية ـ على الأجانب ـ فى الزواج من قريباتهم · ولا يتحسسون نوع العلاقات بينهم وبينهن ·

قد يكون لدى الوالدين سبب لاختيار واحد معين لابنتهما · لأنهما يريان مصلحتها فيمن وقع عليه اختيارهما · ولكن هل عرضا عليها أمره ؟ · هل حاولا اقناعها ـ وليس اكراهها ـ بمن اختـاراه لها ؟

قد تكون الابنة غير ناضجة ·· أو مندفعة : فيمن تختاره · وهنا يجب أن يقف الوالدان معها بالاقناع والحجة ، وليس بالاكراه والالزام ·

والأقارب قد يطرحون شباكهم على قريباتهم ، دون تعرف لميولهن · ثم يصرون على من وقع فى شباكهم · وان كانوا أكبر منهن سنا ·· وان كن غير راغبات فيهم · ويعتبرون انفسهم : انهم أولى بهن من الغريب · وهذا منطق السلع التى يتجر بها الناس · وليس منطق الزواج ·· واقامة الأسرة·· ومستقبل الأولاد ·· وقد يكون السبب فى اصرار الاقارب على الزواج مـن قريباتهم ، والحيلولة بين الغرباء وان كانوا أكثر صـلاحية منهم : هو أن القريبات يكن قد ورثن من المـال ما يغـرى اقاربهم : على الاحتفاظ بهـن والتشبث بزواجهن · فيتقـدم القريب يعلن رغبته ·· ثم اصراره على الزواج بصاحبة الميراث ، ولو كان قليل الصلاحية للزواج بها : كأن يكون الفارق فى السن بين الاثنين كبيرا ·· أو يكون متزوجا بواحدة أخرى أو بأكثر ·· أو تكون له أولاد كثيرون · مما يجعل قريبته لو تزوج بها ، لا تستمتع بمعنى الزواج · فهى تعيش فى متاهات ، تحاول بعد دخولها به أن تجد السبيل بعد فترة قصيرة الى الخروج منها ·

ووضع السائلتين هو هذا الوضع · ويزيد الأمر صعوبة فيه : انهمـا يتيمتان ··· واللذان يتقدمان من الاقرباء كانا من الأوصياء عليهما · وقد نصح الله الأوصياء بالابتعـاد عن الزواج باليتيمات ان كان الزواج بهـن يخشى منه ضياع اموالهن ·· فيقول الله تعالى : « **وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء** (أى ان خشيتم أيها الأوصياء : أن لا تحافظوا على أموال اليتامى وعلى أن لا تباشروها بالعدل ، ان انتم

تزوجتم بهن فاعدلوا عن الزواج بهن ·· الى غيرهن ممن تشاءون) » (١) · والقصد من العدول عن الزواج بهن هو عدم الطمع فى اموالهن والحيلولة بينهم وبين اكل هذه الاموال بالباطل · كما جاء النهى عن ذلك فى الآية السابقة على هذه الآية قوله تعالى : « **ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ، انه كان حوبا كبيرا** » (٢) ·

● فدين الله يساند هاتين السائلتين فى رفضهما الزواج من اقربائهما :

اولا : انه لا اكراه للمراة على قبول زواج معين : سواء اكانت بكرا ·· ام ثيبا ·

ثانيا : ان الاسلام ينهى عن أن يكون الزواج سبيلا الى ضياع مال اليتيم وأكله بالباطل ·

والسائلتان بعد ذلك ان وقع اختيارهما على زوج فليكن صاحب دين · فهو ابقى للزوجية واقرب الى رعاية الله فى معاشرة الزوجة ·

★★★

٢٣ ـ رد الامام عند الخطأ امر يطلبه الاسلام :

خادم احد مساجد الاوقاف باحد المراكز يروى :

ان امام مسجده وهو حاصل على الشهادة العالية لا يحفظ القرآن الكريم · ومن اجل ذلك يلحن فى قراءة الآية التى يقرؤها فى الصلاة وهو امام · فيضطر خادم المسجد ـ وهو حافظ للقرآن ويجيد تلاوته ـ الى مراجعته · فيغضب منه ويكتب تقارير ضده الى مديرية الأوقاف التابع لها ·

والآن يسأل خادم المسجد عما يفعله : أيسكت عن رد الامام فى الصلاة عندما يخطىء فى قراءة القرآن ، وبذلك يرتكب اثما فى كتاب الله ؟ · أم يرد الامام عند الخطأ فيغضب عليه ويتحداه ؟ · وعلى الأقل يطلب نقله من المسجد القريب من سكنه الآن ؟

---

(١) النساء : ٣ (٢) النساء : ٢

● خادم المسجد حائر الآن ، حائر بين رضاء الله ·· وغضب الامام·· وهو انسان ·· أو بين رضاء الامام وغضب الله جل جلاله · فان سكت عن رد الخطأ أو اللحن فى كتاب الله : أغضب الامام ·· وأرضى الله سبحانه ·

وليس لامام المسجد فى حقيقة الأمر : أن يغضب اذا رده خادم المسجد عند خطأه فى تلاوة كتاب الله · وانما عليه أن يعتبر بذلك فيعود ويجيد حفظ القرآن الكريم اجادة تامة ، حتى لا يخطىء أو يلحن فيه · بل عليه أن يشكر خادم المسجد على يقظته فى رده عليه عند الخطأ · لأن رد خادم المسجد أخرجه حينئذ كما أخرج الامام معا ، من الاثم ، لو سكت ولم يرد عليه ·

● ومن جهة أخرى فامام المسجد من علماء الأزهر ·· وداعية الى الله ·· ولا يليق بأى واحد من علماء الأزهر : أن يقصر فى حفظ القرآن الكريم ، فجزء أساسى فى انتساب العالم الى الأزهر هو اجادة تلاوة كتاب الله ، واجادة حفظه · والداعى الى الله لا ينجح فى دعوته الى كتاب الله ـ وهى رسالة الرسول محمد عليه السلام ـ الا اذا حفظ كتاب الله ونقل عنه فى احاديثه ما يحفظه منه ، دون مراجعة له ·

الوعظ ليس حرفة ·· والامامة ليست مهنة يؤجر عليها الواعظ والامام · هى رسالة يؤديها من امتلأ قلبه بالايمان ·· وأحب الدعوة الى دين الله · فالله سبحانه عندما يقول :

« **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** » (١) ·· لم يربط « الفلاح » فى أمة الدعوة بأن تؤدى الدعوة الى دين الله كحرفة أو مهنة·ولكن بأن تؤديها عن ايمان القلب ·· وحسن تطبيق لمبادئها·وليس من حق التطبيق للداعى الى رسالة الله:أن يكون غير مجيد لحفظ القرآن وتلاوته وكل شىء يجوز أن يكون مهنة أو حرفة· عدا رسالة الله ·· والا اذا اتخذها الانسان حرفة أو مهنة أصبحت وسيلة لغاية أخرى ، وليست غاية فى ذاتها ·

والامام الذى يأخذ أجرا على وظيفة المسجد ·· والواعظ الذى يأخذ أجرا على وظيفة الوعظ : هو فى واقع الأمر لا يأخذه على امامة الصلاة ·· أو على العظة التى يلقيها وانما الأجر هو مقابل الانقطاع لخدمة الدعوة · أما الدعوة نفسها فليس لها أجر مادى انما أجرها عند الله · وبهذا يأمر القرآن رسوله ان يبلغ قول الله تعالى فى شأن الدعوة الى الحق : « **قل**

---

(١) آل عمران : ١٠٤ ·

لا أسألكم عليه أجرا ، ان هو الا ذكرى للعالمين » (١) ٠٠ فليس تبليغ القرآن للناس مما يؤجر عليه منهم ٠

● والأئمة والوعاظ ان أخـذوا أجورا مقابل انقطاعهم لخدمة الدعوة فهى أجور تبرع بها الواقفون على البر والخير ، وليست من الضرائب التى تجبيهـــا الدولة للمنافع المادية العامة ٠ والفريقان : الأئمـة والوعاظ من جـانب ٠٠ والخيرون الذين أوقفوا أموالهم عـلى الدعوة من جانب آخر : يقصدان وجـه الله ٠ ومن هنا يعيش الامام والواعظ فى رحاب الله ٠٠ ومن أجل الدعـوة الى رسالته ٠ وكل منهما ان باشر الامامة فى المسجد أو باشر الوعظ خارجه أو داخله : فقد نذر نفسه لله ٠

ومن واقع وظيفة الامامة أو الوعظ : يجب على الامام والواعظ أن يتقـن ما لله ٠٠ ان يتقن كتاب الله ٠٠ وان يجيد ما يتصل به ٠٠ وان لا يتحـدث الا بما هو واثق فى نسبته الى المولى جل جلاله أو لرسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ٠ والله هو الذى سيوفيهم اجورهم لانهم عندئذ : هم الأمناء على دينه ٠٠ وهم الخلفاء لصاحب الدعـوة محمد صلى الله عليه وسلم ٠

والأئمة الشبان لا ينقصهم الا أن يفهموا رسالتهم على حقيقتها ٠ وعندئذ يعيشون فيها ، ومن أجلها ٠ وطالما أبعـدوا أنفسهم عن ان يحترفوا بالدعـوة ويتخـذوها مهنة فليسوا كغيرهم من أصحاب الحرف والمهن ٠ انهم من واقع رسالتهم فوق هؤلاء وهؤلاء وسيحسون بهذا الواقع ان هم أدوا الرسالة كما ينبغى ٠ والقرآن ان اجـادوا حفظه وتلاوته لا يوقظون به النفوس فحسب ٠ وانما يجعلونها خاشعة لذكر الله ، ومطيعة فى سبيله ٠

● ان الأمة الاسلامية تنتظـر الكثير من الأئمة والوعاظ من علمـاء الأزهر ٠ ان أمامكم تحديات للقرآن لا تنتهى ٠ ان أمامكم انحرافات فى سلوك الناس قذفت بها الحضارة المادية الى مجتمعات المسلمين وفى نفوس شـباب هذه المجتمعات ٠ فلا تتراجعوا : ادرسوا هذه التحديات ٠ وعودوا الى كتـاب الله تجـدون صـنعة الله فى اتقـانها وفى حسن معالمها تفوق بكثير صنعة الانسان ٠ لستم فى حاجة لكى تنجحوا فى رسالتكم الا أن تحملوا ايمـانا قويا فى قلوبكم ٠٠ وتضعوا كتاب الله فى أفواهكم والسنتكم ٠ والله يتولانا جميعا بالتوفيق ٠

★★★

---

(١) الأنعام : ٩٠ ٠